نصف بشر

الجزء الأول

تأليف

أسماء محسن

اسم الكتاب: نصف بشر
التأليف: أسماء محسن
موضوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: 128 صفحة
عدد الملازم: 8 ملازم
مقاس الكتاب: 14 x 20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

darelbasheerealla@gmail.com
elbasheer.marketing@gmail.com
www.darelbasheer.com
01012355714 - 01152806533

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من:
دار البشير للثقافة والعلوم

دار البشير للثقافة والعلوم

١٤٣٨هـ
٢٠١٧م

الفهرس

الفصل	اسم الفصل	الصفحة
الفصل الأول	رحلة إلى الفضاء	٧
الفصل الثاني	المدينة السرية	٢٣
الفصل الثالث	نسرينة	٣٧
الفصل الرابع	الحادث	٦٥
الفصل الخامس	بعض الإجابات	١٠٣

الفصل الأول
(رحلة إلى الفضاء)

مقدمة

سأحاول في تلك الرسالة التي أكتبها مساعدةَ البشر.. لا أدري مَن سيعثر على تلك الرسالة ولا متى؟ أتمنى أن يعثرَ عليها بشري، وأن يستخدمَ ما سأكتبه فيها مِن معلومات لحماية بني جنسه.

أنا أحتضرُ، وقاتلي ليس بشريًّا، بل هو منا.. أمّا السؤال الأهم هو مَن نحن؟

نحن مخلوقاتٌ كانت تعيش منذ سنوات بعيدة على كوكبٍ آخر في مجرّة أخرى في هذا الكون الشاسع، ثم تعرّض كوكبُنا للدمار، وهي لم تكن أولَ مرة ولم يعد يصلح للحياة.

نحن طفيلياتٌ تتنقل من كوكبٍ إلى آخر. وتستخدم أجساد المخلوقات الأخرى كعائل لها.

هربَ مَن تبقى منا في عدة مركبات فضائية، وجُبْنا المجرات بحثًا عن مكانٍ يصلُح للحياة. المركبات المكتظّة

نفذ منها الأكسجين بعد أن انهارت آليات تصنيعه بمرور الوقت والسنوات، وقضى كلُّ مَن كان فيها نحْبَه، وسبحت في الفضاء إلى الأبد.

تبقّت- فقط- مركبة واحدة تحمل ٢٠ ألفًا مِن الأجنة المجمدة، وأربعة أطفال، واثنان من الكبار.

اعذروني أنْ أطلت عليكم، فأنا أحاول أن أصف لكم مشاعرنا وقد تملّكنا اليأس، وقررنا الاستسلام للموت والانقراض.

الطعام قد نفد، والهواء على وشك النفاد، والأجساد المعيلة لنا قد تفسّخت وانتهى أمرها.

هنا وصلنا إلى مجرّتكم، وعثرنا على كوكبكم الذي تسمونه الأرض. عثرنا أخيرًا على كوكبٍ له غلافٌ جوي مقارِب لغلاف كواكبنا السابقة، ويصلح للحياة.

هبطنا في منطقة جليدية شديدة البرودة، عرفنا فيما بعد أن البشر يسمونها أنتاركتيكا أو القارة الجنوبية الجليدية. كنا منهَكِين وعلى حافة الموت.

اختبأنا تحت الأرض الجليدية، ودخلنا في حالة سبات استمرت لألفي عام، وحينما أفقنا وجدنا جنسَ البشر يحكم هذا الكوكب.

قمنا ببناء ما يُشبه مدينة تحت الأرض.

الاثنان الكبار تُوفّيَا بعد أن علّمونا كيف نحيا، وكانا مصابَيْن منذ البداية، فمتوسط أعمارنا حوالي ٣٠٠ ألف عام أرضي.

نحن الأربعة الصغار أطلقوا علينا أسماءَ ساخرة تتعلق بعلومكم الحديثة.

كنا ذكران وأنثتان.. وعلى كوكبنا لم تكن لنا أسماء، فنحن نعرف بعضنا، ولكنهم أطلقوا علينا أسماءً كما يفعل البشر مع بعضهم البعض، ربما بهدف الاندماج أو محاولة فهم البشر.. لا أدري ولا تهمُّ الإجابة الآن.

الذكر القوي جدًّا الشرسُ القاسي هو (الفا).. والاسم يليق به، أما الثاني وهو هادئ الطباع هو (جاما).. تلك الأنثى شديدة المكر والدهاء، والمخلصة جدًّا لسلالتنا هي (بيتا).. أمّا أنا فاسْمي (دلتا).

ملامحنا الأصلية بالنسبة لمقاييس الجمال البشرية مرعبة، وأقرب إلى المسوخ.. ولكن بعد أن ننمو بالكامل نأخذُ الكثيرَ من ملامح العائل، ويتوقف هذا على طريقة استخدامنا للجسد المعيل.. نمتلك قوة هائلة وأحجامًا ضخمة بالنسبة للبشر قد تصل إلى حجم الهضاب، ولكن.. لكي نصل إلى

تلك المرحلة من النمو فإننا نمرُّ بعدّة مراحل.. رجاءً لا تملّوا مني الآن، وانتبهوا جيدًا.

المرحلة الأولى: مرحلة الجنين: ويجب أن تتم زراعتُه داخل جسد العائل؛ حيث يتغذّى تغذية بسيطة على طاقة الجسم حتى يكتملَ نموُّه، وينتقل إلى المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: مرحلة الطفولة: وفيها يمتصّ طاقة أكبر من جسم العائل.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكبار: وفيها نستولي على جسد العائل، ونسيطر عليه بالكامل، ويظهر جزءٌ من قوتنا الحقيقية، كما أننا نستطيع الانتقال من جسد إلى آخر بعد أن يموت جسد العائل.

المرحلة الرابعة: مرحلة النضج: وهي ما نتمنى جميعًا الوصول إليه، واكتمال قوتنا وتدمير جسد العائل، وخروجنا منه لنبني جسدنا أخيرًا، ونتحول من كائنات متطفّلة تعتمد على العائل إلى كائنات مفترسة تحكم العالم بأسره.. لها جسدها الخاص، وقد أوضحت لكم كيف نبدو وقتها.

لماذا أكتب هذا لكم؟ لأن البشر مختلفون.. لم نلقَ مِن قبل قطّ كائناتٍ ذكيةً وعاقلة على كواكب أخرى.. بل كل لقائنا كان دومًا مع مخلوقات. لنقل إنها لا ترقى إلى مستوى البشر..

الحق أنكم في مستوى ذكائنا وعقولكم شديدة التعقيد كذلك مثلنا، وعليه فأنا لم أعدْ راغبة في الاستيلاء على أجسادكم أو منحها لـ (ألفا) للقيام بتجاربه.

أصبحت أؤمن أنه ليس من حقّنا أن نحتل كوكبًا ليس لنا، ونقتل سكانه ونستعبدهم.. عشنا حياتنا كلَّها منذ خُلقنا حتى الآن هكذا، وأتمنى حقًّا أن نتغير.

***

عام ٢٠٤٠م

ذلك الاجتماع في مقر الأمم المتحدة كان على أعلى مستوى، وكان سريًّا تمامًا. حضره رؤساء الدول أو مندوبوهم بلا استثناء لأي دولة، وكان الموضوع الذي ستتم مناقشتُه في الظاهر وما تناقلته وسائل الإعلام هو القضاءُ على الفقر في العالم، أمّا الحقيقة فقد كان الاجتماع يتعلق بمناقشة مصيرِ البشر، وكيف يواجهون خطر الغزو.

جلس الجميع في مقاعدهم، وتأكّد الخبراء من إغلاق جميع الكاميرات، وأنه لا توجد أي أجهزة للتنصت، أو وسيلة لذلك، وتم تشديد الأمن بشكلٍ مبالَغ فيه.

خيّم التوترُ على الجميع، ثم نهضَتْ من مقعدٍ صغيرٍ في ركن القاعة شبْهِ المظلم امرأةٌ ممشوقة القوام، نحيفة،

وتوجّهت نحو مقعدٍ وثير يقبع أمام الحضور، وبجانبه الميكروفون. جلست بثقةٍ، وقرَّبت فمَها من الميكروفون، وقالت: مرحبًا.

قالتها بلغة إنجليزية سلسَة. ساد الصمت وتطلّع إليها الجميع، ومال عليها أحد العاملين قائلًا: ألا ترغبين في وضع السماعة على أذنيك؟ أعني الترجمة.

قاطعته:لا. أنا أجيدُ جميعَ لغاتكم الحيّة.

ثم عادت تقول: اسمي كما عرفتم (بيتا). وأظن أنكم تعلمون مَن أنا، ومِن أين أتيت؛ فلا داعي لإضاعة الوقت في مقدماتٍ لا طائل منها.

سرت همهمةٌ بين الحضور، وقال رئيس ألمانيا: أظنّ أنني لا أتحدث عن نفسي فقط حينما أقول إننا ما زلنا لا نصدق ما رأيناه ولا ما سمعناه منك.

تشمّمت (بيتا) أظافرها في ملل، ثم قالت بخبث: طلبتم أن يتمّ فحصي وقد قبلتُ، وقمتم بذلك. طلبتم عرضًا حيًّا وقد فعلت ذلك، وغادرتُ الجسد السابق أمامكم، واستوليت على هذا الجسد.. إن كنتم تصرُّون كديْدَنِكم على تضييع الوقت في الشك والهراء؛ فأنتم أحرار، يمكنكم أن تكذبوني، وأن تعتبروني امرأة بشرية مجنونة، وسأغادركم فورًا.

ثم نهضت بحزم، وقالت وهي تستدير منصرفةً: حظًّا طيبًا مع (ألفا).

هتف رئيسُ الولايات المتحدة بلهفة: مهلًا. رجاءً اجلسي يا سيدتي.

ظلّت واقفة، ترمقهم في تحدٍّ لثوانٍ، ثم جلست.

عاد رئيسُ الولايات يقول: أتمنى أن تعذري ردودَ أفعالنا؛ فما أخبرتنا إياه في الأيام الماضية يفوقُ قدرتنا على التخيل. نحن بحاجة لمساعدتك، ونتمنى ألا تتخلّيْ عنّا الآن.

قالت بلهجةٍ متعالية: إن كان هناك أحدٌ منكم لا يصدقني، أو لا يرغب في التعاون معي؛ فليتفضل برفع يدِه الآن.

أطبق صمتٌ تامٌّ على القاعة، ولم يجرؤ أحد على رفع يده برغم أن نظرة استنكار قد أطلّت من عيون البعض.

عادت تقول: اختصارًا للوقت سألخّص لكم الموقف.. نحن طفيليات تستولي على أجساد بعض أنواع الكائنات؛ لتحصل على غذائها، وتتمكن من الاستمرار على قيد الحياة.. عددنا حاليًا اثنان أنا و(ألفا) الذي قتل أختنا. إنه يرغب في أن يصبح إمبراطورًا يحكم هذا الكوكب ويستخدم البشر كعبيدٍ وفئرانٍ لتجاربه ومصدر طعامه. وعلى العكس، أنا أريد أن أحيا معكم بسلام؛ لذلك لا حلّ أمامنا سوى التخلص من (ألفا)، وإلا إذا نجح في ...

قاطعها مندوبُ السودان: عن أي سلامٍ تتحدثين؟!! ألست مثلَه تعيشين على الأجساد البشرية؟!

- صحيح. وسيكون هذا هو المقابل الذي ستدفعونه لي لقاء مساعدتي لكم في التخلص من (ألفا). أريد جسدًا بشريًّا كل ١٠ أعوام، هذا أفضل مِن أن يتم التضحية بالجنس البشري ككل.

تساءل مندوبُ الصين: وما يُدرينا أن (ألفا) هذا أخطر على الجنس البشري منك؟

هنا قال رئيسُ الولايات المتحدة في ضيق: جميعُكم يعلم بالمواجهة التي تمّت بين جيشنا وبينه منذ شهر. ألم نحاول اقتناصه وانتهى الأمر بمقتل ألف جندي أمريكي وهروبه؟! هل نسيتم تهديداتِه لنا؟!

عادت (بيتا) تقول: كما أنه يعتبرني خائنةً بعد أن كشفت سرَّنا للبشر. وعليه فأنا لا أملك وقتًا أضيعه معكم. أنا أعرف أين يختبئ، وسأخبركم بموقعه ما إن نتفق.

مضتْ دقيقة من الصمت، ثم راحوا يتناقشون معًا بصوتٍ مرتفع، بينما نظرت (بيتا) إلى سقف القاعة في مللٍ وهمست لنفسها: بشرٌ حمقَى.

ثم مالتْ على الميكروفون، وتنحْنحَت بصوتٍ مرتفع، فخفتَتْ حدّة أصواتهم.

قالت: قراركم؟

تساءل مندوبُ بريطانيا: كيف سنتخلص من (ألفا)؟

– سأشارك معكم في قتاله، وحتمًا سيضعفه هذا. ستشارك جميعُ الدول في هذا القتال، بالمناسبة وبعدها سنلجأ إلى تخديره وإرساله في رحلة عبر الفضاء. سأبلغكم بالأحداثيات طبعًا.

– ألا يمكن قتله؟

قالت (بيتا) لنفسها: بالطبع. ولكنني لن أغامر بفقده للأبد؛ فقد أحتاج إليه يومًا ما.

ثم أردفت: أخشى ذلك لأن هذا صعبٌ جدًّا. إنْ نجَتْ خلية واحدة منه– وهذا ما سيحصل مع قدرته الرهيبة على التجدّد– فسيسيطر على جسدٍ آخر ويعود لينتقم، وأنتم صدقوني لن يعجبكم سلوكه وهو غاضب. الحلُّ الأمثل إلقاؤه خارج الكوكب كله.

– وتلك الأحداثيات؟

– ثقب أسود يقع خارجَ المجموعة الشمسية.

– وهل سيظل مخدرًا كلَّ هذا الوقت؟

– سنرسل معه جنودًا أقوياء يضخّون المخدّر له ويراقبونه حتى يصلوا إلى وِجْهتهم فيتخلصون منه ويعودون.

نهض سكرتيرُ الأمم المتحدة وقال: مَن يوافق على قرار التعاون مع المخلوقة (بيتا) مقابلَ أن يتم التضحيةُ بمواطِنة مِن كل دولة كل ١٠ أعوام فليتفضّل برفع يده.

أضافت (بيتا) بسرعة: أعدكم كذلك بتقديم يدِ العون في مجال التكنولوجيا؛ فقد كان كوكبُنا أكثرَ تقدمًا منكم بمراحل قبْلَ دماره.

حاز اقتراحُها على موافقة الأغلبية، وابتسمت ابتسامةً منتصرة بعد أن انتهى الاجتماع وتوجّهت مع رئيس الولايات المتحدة ووزير دفاعه إلى منطقة سريّة في صحرء نيفادا كي تبلغهم بمكان وجود (ألفا)، وتعدُّ معهم خطة للقتال.

استطاعت أن ترى نظراتِ المقْتِ والخوف في عيونِ بعض القادة في تلك القاعدة العسكرية. جلست على أحد المقاعد الوثيرة في حجرة بها عدّة شاشات تَعرضُ صورًا للأقمار الصناعية وبعض البيانات المختلفة.

لاحظت نظرات أحد كبار القادة لها، فقالت باسمة: لماذا تحدِّق بي؟ هل تخشاني أم تكرهني؟

ردّ ببرود: فقط لا أثقُ بك.

مطَّت شفتيها، وأخبرت الشابَّ الجالس أمام شاشة الحاسوب بأحداثيات مكان (ألفا) في غابة الأمازون، وأوضحت: إن لديه معملًا هناك كذلك.

تساءل الشاب: معمل؟ لماذا؟

ردَّت: للتجارب البشرية طبعًا.

تجاهلت ردودُ الفعل المعتادة عندما يسمعون جملةَ تجارب بشرية، وتطلّعت نحو القائد المتشكّك، وقالت: مَن مِنا لا يجب أن يثق في الآخر؟ أنتم البشر أسوأ مفترسات رأيتها في حياتي.. تأكلون كلّ شيء.. كل المخلوقات الأخرى من حيوانات ونباتات وطيور وأسماك وحتى بعض الحشرات.. أنتم بالنسبة لبقية المخلوقات رعبٌ مقيم.

ردّ ساخرًا: حقًّا؟

– فإن لم يكن الكائنُ يصلح كغذاءٍ تقومون بصيده، وتطلقون على فعلتكم الشنيعة تلك رياضة.

– .....

– بل تقتلون بعضَكم البعض، وتعجزون عن التعايش فيما بينكم، مع أنكم تنتمون لنفس الفصيلة.

ومالت عليه، وأردفت بلهجة باردة: لذا لا تحدّثني عن الثقة.

هتف وزيرُ الدفاع: حدّدنا مكانه.. إنه يخفي معملَه أسفل الأرض ذلك الحقير.

نهض الرئيسُ وقال: أبلغ الجميع، ولنعدّ الجيش فورًا والطائرات لدَكّ المكان، والتخلص منه.. لقد أعددْنا المركبة الفضائية كذلك.

نهضت (بيتا)، وتوجهت مع بعض الجنود خارج القاعة نحو الطائرة التي ستقلع إلى الموقع، وبعد مغادرتها قال القائد المتشكّك: سيدي الرئيس، عفوًا أرجو السماح لي بالتحدث بحرّيّة.

ردّ الرئيس: أعرف ما تفكّر فيه.

وتطلّع إليه مضيفًا: ما إن نتخلص من (ألفا) حتى نتفرغ للتخلص منها كذلك.. هذا هو اتفاقي السرّي مع بقية الرؤساء. الآن فلنستفِدْ منها قدرَ الإمكان.

***

في الفضاء الشاسع، تحركت السفينة الفضائية (بوسيدون) بأقصى سرعة ممكنة.. كان على متنها ٣٠ فردًا.. بعضهم علماء وأغلبهم مِن القوات الخاصة لعدّة دول.

كانت (بيتا) واقفةً تتأمل المركبة وهي تختفي في الفضاء، وبجوارها وقف رئيس الولايات المتحدة.

قال: لقد تخلّصنا منه أخيرًا.

ردَّت (بيتا) باسمة: أجل.. الآن أتمنى حقًّا العيشَ معكم وحمايتكم.

ابتسم الرئيس ابتسامةَ مجاملة، ولم يعلّق.

وفي حجرة القيادة في المركبة الفضائية التي كان فيها ٥ أفراد، سأل القائد أحد المساعدين: راجع البيانات بسرعة.. كم تبقّى على استيقاظ ذلك الوغد؟

ردّ المساعد بعد أن راجع الخريطة على الشاشة: الكثيرُ.. حوالي ٤٠ ساعة.

عادَ القائد يقول في قلق: هل هذا مؤكَّد؟ لمَ لمْ تصحبنا (بيتا) تلك!؟

ردّ المساعد: إنها تستريح.. لقد بذلت مجهودًا كبيرًا حتى تم نقل (ألفا) إلى السفينة، وأظنها خسرت الكثيرَ من طاقتها.. قالت إنها لن تفيدنا.

قال القائد: أعرفُ هذا. لم أكن أقصد بكلامي السؤال. على كلٍّ، خلال ساعتين سنقوم بعملية الإخلاء.. وسأقوم ببرمجة السفينة الفضائية بحيث تسيرُ اتجاه الثقب. خلال الـ٤٠ ساعة ستكونُ السفينة قد ابتعدت عن كوكبنا بملايين السنوات الضوئية، وسيكون ذلك الوغدُ قد مات؛ لأن السفينةَ ستُصدر غازَ أول أكسيد الكربون وستمنع إصدار

الأكسجين تمامًا.. فإن لم يمتْ فسينتهي في الثقب الأسود إلى الأبد.

وشرعَ في عملية البرمجة، بينما انْهمك المساعدون الأربعة في عملهم.

وقال أحدُ المساعدين في أسى: لقد قُتل آلاف الجنود حتى تمكّنا أخيرًا من القبض عليه.. أيُّ قوة هذه!؟

أضاف آخر: والجسد الذي يحتله.. أليسَ هو جسدَ ذلك المصارع الشهير السابق؟

نهض القائدُ، وقال: سأذهب لأتفحّصه مع أحد العلماء. علينا أن نطمئِنّ أنه مازال في سبات.

وغادر الحجرةَ متوجهًا إلى منطقة الاحتجاز، حيث الزنزانة الفولاذية التي تمّ فيها تثبيتُ جسد العائل الذي يسيطر عليه (ألفا). وتم إحكام الأغلال حول قدميه ويديه، وكان بالفعل جسدًا لمصارع شهير أصلع الرأس، مفتول العضلات، شرس الملامح.

تطلّع إليه القائد بحذر، وغمغم للعالِم: بقيت دقائق ونقوم بعملية الإخلاء، ونترك هذا الوغد خلفنا.

فجأة.. فتح (ألفا) عينيْه، وبعد دقيقتين انطلق الإنذار الذي أطلقه العالِم وهو يستجمعُ ما تبقّى من قواه ليغادر

منطقة الزنزانة، بينما ينزفُ وقد شُقَّت بطنُه. من خلفه، ظهرَ (ألفا) وهو يتحرك بثقةٍ، فجذب رأس العالِم وفصلها عن جسده. كان يسير وفي إحدى يديه رأسُ القائد وقد أمسكها بلا مبالاة مِن الشَّعر.

وفي منطقة الاحتجاز، تحطّم بابها وخرج (ألفا) وقد تغيّرت ملامحه، ولم يعد بشريًّا على الإطلاق، برغم أن ملامح المصارع مازالت موجودةً، لكن العيون الحمراء والشراسة الوحشية التي تجسّدت في ملامحه جعلتْه أبعدَ ما يكون عن الإنسان، وصرخ جنديًّا الحراسة، وراحا يُطلقان النار مِن سلاحهما قبل أن يُطلق (ألفا) من أسفل ظهره ما يشبهُ الذيل قام بتمزيقِهما إربًا، ثم راح يُعْمِل القتلَ في الجنود، بينما يحمل جسدَ الجنديَّيْن أمامه كدرعٍ لتلقي الطلقات.

بدأت السفينة تغيِّرُ توجّهَهَا عائدةً نحو الأرض. كان المساعدُ يعبث بالأزرار ويغيّر التوجّهات بينما لا تستجيبُ له، فهتف: هل اخترقَ هذا الشيءُ أجهزةَ التحكم؟

انتابه رعبٌ شديد وهو يسمعُ أصوات الصراخ والتمزيق خارج الحجرة، وراح يحاول عبثًا إعادة التحكم في السفينة دون جدوى، فهتف في رفاقه:

- قوموا بتشغيل مضخّات ثاني أكسيد الكربون يدويًّا حالًا.. علينا قتلُ هذا الوغد قبل عودته إلى الأرض.

هتف أحدهم محتجًّا: سنموت معه.

صرخ المساعدُ في وجهه: هل نملك خيارًا آخر!؟ سنموت في جميع الأحوال.. هيا غادر من الباب الجانبي مع زميلك بسرعة.

وبقيَ هو مع زميله، وأعدَّ كلاهما سلاحَه وتحفَّزَا.

سادَ صمتٌ غريب في الخارج، ومضت عدةُ دقائق على هذا الحال، مما حطّم أعصاب الرجلين، فهتف المساعدُ الأول: هيا، اظْهر أيها الوغد.

انطلقت ضحكةٌ ظافرة قذرةٌ مِن وراء الباب، ثم بضربة قوية تحطّم الباب، وظهر مِن خلفه (ألفا).

***

الفصل الثاني
(المدينةُ السّرية)

استيقظَ (ساري) باكرًا، وظلّ راقدًا على سريره الصغير يحدّق في السقف الرمادي اللون كعادته لدقيقة أو اثنتين.. برغم وجود المدفئة الكهربائية إلا أنّ الغرفة ظلّت باردة.. نهض وتوجّه إلى حمام ضيق، ثم غادره بعد قليل إلى حوضِ غسيلٍ وفتح الصنبور، فلم ينزلْ شيء.

غمغمَ لنفسه في ضيق: الماءُ قد تجمّد ثانية.

على حافة الحوض، كان هناك صحنٌ معدني به ماء.. تناول الصحنَ وقرَّبَه من المدفئة قليلًا، ثم عاد إلى الحوض وغسلَ وجهَه، وفرَّشَ أسنانه مستخدمًا الماءَ من الصحن، وارتدى ثيابًا ثقيلة وغادر حجرته، ولم ينسَ إغلاق الباب.

سارَ في ممَرّ طويل به إضاءة خفيفة، وعلى كلا جانبَيْه حجراتٌ مماثلة لحجرته.. لم يستيقظْ أحدٌ بعد. على كلٍّ، فالوقت مازال باكرًا، والساعة السادسة والربع صباحًا.

مع وصوله إلى نهاية الممر، كان الحارس جالسًا على مقعده جنْبَ الباب الحديدي الضخم وهو يتثاءب وقد احْمرّت عيناه. قال (ساري) باسمًا: صباح الخير يا (جوناثان).

- صباح الخير (ساري). اليوم آخر مهمة لك قبل التخرج.

- أجل.

- أتمنى لك التوفيق.

- شكرًا لك.

وغادر البوابة إلى قاعةٍ سُداسية الشكل، بكل ركنٍ منها بوابةٌ مشابهة، وتوجّه إلى منتصف القاعة؛ حيث يوجد أنبوبٌ زجاجي عريضٌ به المصعد.

ضغط زرَّ الاستدعاء، ووقف لثوانٍ حتى هبط المصعدُ أمامه، فدلف إليه وضغط زرَّ الطابق الثالث، وتحرك المصعد صاعدًا ببطء، وهو يصدر صريرًا خفيفًا.

المصعدُ هو الوسيلة الوحيدة للصعود والهبوط في تلك المدينة المبنية تحت الأرض وسط الثلوج. ثمة مصعد آخر في الجهة الأخرى من المَمَرّات، ولكنه يعمل من السادسة مساءً وحتى السادسة صباحًا فقط.

لم تكن تلك مدينةً بمعناها.. هي أقرب إلى مأوًى سريٍّ تحت الأرض لهاته المخلوقات. المدينةُ مكونةٌ من ممرّات بها حجرات تتصل بقاعة سداسية بها المصعد. كل الطوابق على هذا الحال عدا الطوابق من الثالث إلى الطابق الأول؛ إذ كان ترتيبُ الأدوار عكسيًا، فكان الطابق الأول هو قمة المدينة.

غادر (ساري) المصعدَ بالطابق الثالث، وكان في القاعة لوحةٌ ضخمة كُتب عليها بعدّة لغات: طابق عسكري.. محظور لغير العسكريين.

أخرج بطاقته التعريفية، وعلَّقها على صدره، وألقى التحية على الحرس، ثم توجَّه إلى البوابة الوحيدة الموجودة في القاعة، ودلفَ إلى ممرٍّ آخر به عددٌ أقل مِن الحجرات الواسعة المخصصة للتدريب، ووقف عند باب أحدها فطرقَ الباب ثم دلفَ حيثُ وقف القائدُ صارمَ الملامح عريضَ الفكّين، فوقف أمامَه باحترام.

قال القائدُ: جئتَ باكرًا كعادتِك يا مُجنّد (ساري).

ردّ (ساري) في احْترام: أجل يا سيدي.

وحاولَ أن يخفي تحرُّقَه وتَوْقَه إلى القيام بالمهمة الأخيرة التي تَحُول بينه وبين التخرّج، ومن ثمّ بداية مهمتِه الصعبة.

– أَنَنْتظرُ زملاءك، أم تُفَضّل البدءَ بمهمتك؟

– فلنبْدأ يا سيدي القائد.

– ليكن. أنت شديدُ الحماس اليوم، وأنا لا أريد أن أُوقِفَ هذا الحماس. مهمتُك اليوم وآخر مهمةٍ لك كمُجند هي الصعودُ إلى الأعلى. بعد ساعة، نتوقع هبوبَ عاصفة ثلجيّة خطرة. مهمتُك هي البقاءُ حيًّا في تلك العاصفة الثلجية

وإنقاذُ حياة طفليْن لم يعُودَا منذ الأمس، وقد أبلغَتْ أسرُهم عن فقدهم. بالطبع، إن عثرت على الطفليْن قبل هبوب العاصفة فهذا جيدٌ، أمّا إذا تأخّرت فعليك أن لا تغامرَ بحياة الطفلين.. حاول البقاءَ حيًّا، وانْتظرْ حتى تنتهي العاصفة بعد ٧ ساعات. لقد قمنا بتمشيط المناطق المحيطة في دائرةٍ قطْرُها نصف كيلو متر، أي إنهم وصلوا إلى منطقة أبعدَ مِن ذلك. خذْ معك زجاجةَ ماء وبوصلةً وجهازَ البحث الحراري، وهذه الأدويةُ معها المحاقِنُ كي تحقِنَ الطفليْن ونفسَكَ، فلا شك أنهم أصيبوا بماءِ الرئة.

تناول (ساري) الحقيبةَ الصغيرة بما فيها مِن مُعدّات، وأسرع الخطى نحو المصعد، ومنه إلى الطابق الأول، وتوجَّه إلى سطح مدينته، ومنها إلى سلمٍ حديدي طويل، وضغطَ زرًّا بجوار الباب الحديدي الصلْب الجاثم أمامه، ففُتح إلى الأعلى، وغادر (ساري) مدينتَه تحت الأرض إلى أرض غرب أنتاركتيكا.

***

مناخٌ لا يُطاق، ويستحيل على البشر أن يتعايشوا معه. تلك هي أنتاركتيكا، أو القارة القطبية الجنوبية. كانت درجة الحرارة الآن حوالي -٤٠.

بخِفّة مَن اعْتاد ذلك، تحرّك (ساري) وسطَ الثلوج الكثيفة، وقد غطَّى وجهه كلَّه تقريبًا؛ كي يقِي جلدَه التشقّق مِن البرودة، وشعر- برغم أنه يرتدي ثيابًا ثقيلة حرارية- أنّ البرد ينخُر عظامه. ظلّ يسيرُ حوالي ساعة إلا الربع في دائرة حول موقع المدينة التي نصفُ قطرها ٦٠٠ مترًا؛ بحثًا عن الطفليْن المفقودَيْن.

أخرجَ الجهازَ الحراري، وهو عبارةٌ عن جهازٍ مربع الشكل، به شاشةٌ تضيء إذا اقْترب من جسمٍ تنبعثُ منه الحرارة. على فرض أن الطفليْن مازالا على قيد الحياة؛ فإن جسدَهُما حتمًا ما زال يبعثُ الحرارةَ، وبذلك يسهُلُ عليه العثورُ عليهم. راح ينقلُ بصرَه ما بين الجهاز وساعةِ يده، لقد تبقَّت عشرُ دقائق على هبوب العاصفة، والعواصفُ الثلجيّة مُميتة هنا.

أخيرًا، وبعد أن بدأت وجنتاه تلتهبان بفعل البرد، وبدا أنّ جلدَه سيتشقّق؛ أصدرَ الجهاز صوتًا.. دعا الله ألا يكونَ الجسدُ لحيوان الفقمة أو سواه. توجّه حيث أشار الجهازُ وهو يسرع الخطى، فوجدَ الطفليْن.. جسدُهما الصغير مسجًّى على الثلج، وقد غطت الثلوجُ معظَمَه.

راح يبعُدُ الثلجَ بكلتا يديه، ثم تحسَّس نبضَ الطفليْن.. التنفسُ ضعيفٌ ولكنهم أحياء.. أخرجَ المحاقِنَ.. قلبَ جسدَيْهما ثم حقَنَ كلًّا منهما بالسائل في الوريد.

حملَ الطفليْن بقوة؛ فقد كان رياضيَّ الجسم.. أخرجَ ذيوله الأربعة، ولفَّ الطفليْن على صدره. لا وقت للعودة إلى المدينة، ستهبُّ العاصفة خلال دقائق، والحلُّ الوحيد المتاحُ أمامَه هو اللجوءُ إلى أي مأوًى قريب.

أسرع يهرولُ وهو يحملُ الصغيرَيْن.. حاول- قدرَ المستطاع- أنْ يسرع، بينما قدمُه تغوص في الثلج الكثيف برغم ارتدائِه الحذاءَ المخصّص للثلوج.

بالقرب من هنا، يوجد مركزٌ صغير للأبحاث بَنَاه البشرُ منذ سنوات بعيدةٍ لدراسة القارة. هناك عدةُ مراكزَ متفرقة، وكلها- بالطبع- مهجورةٌ منذ مئات السنين، وقد حرص بنو جنسِه على تزويدِ تلك المراكز ببعضِ معلَّبات الطعام والماءِ والمدافئ في حالة إذا علَقَ أحدهم بالخارج وسط هذا المناخ شديدِ القسوة.

الآن، هبَّتِ العاصفة فزادَ سرعة خطواته.. اسْتدار وراءَه فوجدَ العاصفةَ متّجهة نحوه بشراسة.. عليه أن يُسرع؛ فبعد قليل سيُدْفَن تحت الثلوج ويموتُ من البرد مع الطفليْن..

ضمّ الطفليْن إليه أكثر.. ها هو المركزُ قد لاحَ مِن بعيد.. بابُه مغلَقٌ، ولكن بدون مفتاح؛ حتى يتمكّن هو أو غيرُه من الولوج. أسرعَ قدر المستطاع، بينما الثلجُ تحت قدميه يزدادُ كثافةً، والعاصفة تقترب أكثر، وتجعلُ الرؤية عسيرة.. هل عليه أن يستخدمَ أحدَ ذيولِه؟ فرَدَ أحدَ ذيوله نحو الباب، ففتحه ثم قفزَ إلى داخل المركز، ومدَّ ذيلَه من جديد ليغلق الباب بسرعة قبل أن تصلَ العاصفة، ثمّ أغلقَ المزلاج.

اهْتزَّ البابُ بعنف مِن ضربات العاصفة القاسية.

نهض (ساري) وحملَ الصغيريْن إلى غرفةٍ بها أسِرَّةٍ ومِدْفئة، فقام بإشعالِ المولّد الكهربي ثم المدفئة. وضع الصغيريْن معًا على أحد الأسِرَّة، وأخرج مِن دولابٍ حديدي في الحجرة بطاطِينَ نفضَ عنهم بعضَ الغبار العالِق، وقام بتغطيتهم فورًا.

تطلّع إلى ساعته.. أمامَه ٧ ساعات حتى تنتهي العاصفة ويتمكّن من إعادتهم إلى ذويهم. تفحَّص الطفليْن.. حالتُهم لا تتحسّن.

نهضَ واقفًا، وأخرج أحد ذيولِه.. برز مِن نهاية ذيله ما يُشبه الإبرةَ، وبسرعة وصرامة حقَنَ كلًّا منهما في بطنه.

أعادَ ذيلَه، وقرَّر أن يتفحَّصهم بعد ساعةٍ كي يطمئِنّ عليهم.

***

العاصفةُ تزأر خارجَ المركز وكأنها تشعرُ بالغضب لفشلها في قتلِه وقتْل الصغيريْن. راحت النوافذُ الحديدية المحكَمَةُ الإغلاق تهتز.

غادر (ساري) الحجرة، وقام بإشعال الضوء.. المركز مكوّن دائماً مِن غرفتَيْن وحمام، وتلك الصالة التي تتواجد بها عدة أجهزة وشاشات لم تعدْ تعمل.. ثمَّة غبار برغم أنهم في كلِّ صيف يقومون بتنظيف المراكز.. كان جائعًا فأخرج إحدى المُعلبات التي جاءتهم من مملكة الأعداء، وفتحها بضربةٍ مِن يده، ووضع محتوياتِها في وعاءٍ داخل جهاز الميكروويف.. لم يعدْ يعمل للأسف.. هكذا راح يلتهم- صامتًا في نهَمٍ- ما بداخلها من فاصوليا مجمّدة.

راحَ- كعادته- يتفحَّص كلَّ ما حوله بعينيه، وغمغم: تلك كلُّها أشياء تخصُّ البشر.

ونهض وقد بدأ يشعر بشيءٍ من الدفْء والإرهاق الشديد كذلك، وراح يتفحَّص تلك الأجهزة.. لمحَ أسفلَ المكتب صورةً فوتوغرافية صغيرة، ويبدو أنّ أحدًا لم ينتبِه إليها مِن

قبْل قط. انحنى يتفحَّصُها.. كانت الصورة لامرأةٍ شقراء، تأمَّلها لثوانٍ، ثم وضعها على المكتب وقال: إنهم يشبهوننا كثيرًا.

بعد ساعة، عاد إلى الحجرة التي وضع بها الطفليْن، وقام بتفحُّصهما.. النبضُ ومعدّل التنفس قد تحسَّن بشكلٍ مَلحوظ.

الآن فقط وقد اطمئن.. اسْتلقى على أحد الأسِرَّة، وغرق في النوم.

***

هتف القائدُ الأعلى الأولُ في غضب: كم لبثتَ فاقدًا للوعي مُجند (ساري)؟

احْمرّ وجه (ساري) قليلًا وهو يُجيب: ٥ ساعات.

كان الآن يقف في الطابق الأول في حجرة القادة، وقد جلس أمامَه القادةُ الثلاثة للمدينة، وقد وقفَ بجوارهم قائدُه عريضُ الفكين.

قال القائدُ الثاني: إنه لا يصلح.. راسب.

أشار القائدُ الثالث بيده، وقال: مهلًا.. لقد خالف التعليماتِ، ولكنه اضطر إلى هذا لإنقاذ حياة الطفليْن.. كما أنه نجح في جميع الاختبارات التي خاضَها في العشر سنوات الماضية.

قال القائدُ الأول: كمْ عددُ المرات التي تم تنبيهُك فيها على ضرورة عدم استخدامِك لذيلك الرابع؛ لأنه يستهلكُ طاقتك؟

ردّ (ساري): مراتٍ عدة يا سيدي القائد الأعلى، ولكن...

- ولكن!؟

- هناك استثناء عند الضرورة القصوى، وقد كانت حياةُ الطفليْن في خطر، والدواء لم يعالجهم.

- هل توقّفوا عن التنفس؟

- كان معدلُ تنفُّسِهم بطيئًا، وتحت المستوى الطبيعي.

- إذًا، فهُمْ وقتَها كانوا أحياءً.

- أجل.. ولكنني خشيت أن أغامر فتسوء حالتُهم وأعجزُ عن علاجهم.

- فغامرْتَ بفقدانك لطاقتك، والغرق في النوم بجوارهم!

- ....

عاد القادةُ الثلاثة يتناقشون فيما بينهم لدقيقة، ثم تطلّعوا نحوه، وقال القائدُ الثالث: أنت كما تعلم يا (ساري) مِن فئة نادرة.. فلم نقابِلْ من قبل قطّ أحدًا من بني جنسنا له أربعة ذيول.. ولهذا جميعُنا يعلّق عليك الكثيرَ من الآمال.

- ....

عاد القائدُ الثالث يقول: لن نتناسَى كذلك نجاحَك المستمر على مدار العشر سنوات الماضية، ولكننا نلاحظُ أنك تتصرف دومًا بدافع من العاطفة لا العقل! فهل أنت مستعدٌّ للمهمة الخطيرة التي ستُوكلُ إليك؟

– أجل سيدي.

– حسنًا، سيكون قرارنا كالآتي.. لقد نجحتَ، وتخرجتَ، وأنت الآن مقاتل.

ورفع أصبعَه السبابة محذّرًا، وأكمل: ولكن.. لا تستخدم ذيلك الرابعَ إلا للضرورة القصوى.. لا تستخدمْ سائلَ التجديد والالتئام والعلاج المنبثِق منه دون داعٍ؛ لأنّه يستهلك طاقتك ويُضعفك.

– سمعًا وطاعةً سيدي.

– مبارَكٌ التخرج.

وهنا، تكلّم القائدُ الثاني من جديد، وكان لا يبدو راضيًا: استعدّ لأنك غدًا ستبدأ رحلتك إلى مملكة البشر.. خذْ معك الدواء طبعًا.. وكنْ حذرًا وإلّا قتلوك أو سجنوك إن عرفوا هويتَك الحقيقية.. لقد تدرَّبت في قاعاتِ المحاكاة، ومع ذلك لا تبدو لي....

قاطعه القائدُ الثالث: إنه جنديٌّ صالح، وهو يدرك أنه أهمُّ عنصر في خطتنا.

وقال القائدُ الأول: ليس لك أسرةٌ حاليًا؟

ردّ (ساري): نعم. لقد توفيَ والدي بالتبنِّي منذ خمس سنوت، ووالدتي ماتت وأنا رضيع كما تعلمون.

– إذًا، فليس لديك أشخاصٌ تودّعهم.. استعدّ غدًا لتعبر النفق السري إلى مملكة البشر.. ستستغرق الرحلةُ حوالي ٢٠ يومًا.

– أجل يا سيدي.

واستدارَ منصرفًا عائدًا إلى حجرته في الطابق الخامس تحت الأرض.

تطلّع نحوه قائدُه عريضُ الفكّين وهو ينصرف، ثم قال: نتمنى أن تنجحَ خطَطُنا هذه المرة.

– ستنجح.. هل سبق ورأيت أحدًا بقوته وسرعته في التجدد وبـ ٤ ذيول؟!

– باستثناء القائد.. لا.

***

في اليوم التالي، ارتدى (ساري) ثيابَه الثقيلة، ووضع بعضَ علبِ الأطعمة وبعضَ زجاجات المياه في حقيبته، وثوبًا إضافيًا وكيسًا حراريًّا للنوم، ثم حمل الحقيبة فوق ظهره وغادر حجرته.

استقبله في الممرّ جيرانُه، وقد غادروا حجراتهم مودّعين، وفي عيونهم الْتَمَعَ الأملُ، وكأنه مُنقذُهم الأوحد.. شعر بالثّقل في قلبه مِن تلك المسئولية الجديدة.. ماذا لو فشل!؟

قالت إحدى الجارات وهي تناوله صحنًا مُغلَّفًا: أعددتُ هذا الطعام لك لتتناولَه في رحلتك.

غمغمَ شاكرًا وهو يتناول منها الصحن، وقالت جارة أخرى: سننتظر عودتَكَ بعد أن تنقذ قائدَنا يا (ساري).

هزَّ رأسه ولم يعلق، وتوجَّه إلى المصعد، فصعدَ إلى الطابق الأول شديدِ الحراسة، ودلفَ إلى الحجرة الوحيدة فيه، وكانت للقادة الثلاثة، وكانوا واقفِين ومعهم عدةُ جنود، ومعهم قائدُه فأدَّى (ساري) التحيةَ، وقال: القادةُ العظام (جان) و(هان) و(ان).

واستدارَ نحو قائدِه، وأضاف: قائدي الجنرال.. أعدكم بأنني سوف أعيدُ قائدَنا العظيم الأسير؛ ليقودنا في حربنا ضدَّ البشر، ولنحيا بحريّة وكرامة في النور.

قال قائدُه: نحن نثقُ بك.

توجّه القائدُ الأول (جان) نحو أحد أركان الحجرة، وضغط في مكان معينٍ في الحائط، وأدخل كلمةَ السر فانفتحت بوابةٌ سريّة تؤدي إلى ممرٍّ مُظلم طويل.

قال القائدُ الأول: معك مصباح.. ممتاز.. ستتحرك في هذا الممر تبعًا للخارطة لعدة أيام حتى تصلَ إلى نهايته. هناك، ستخرج إلى جزيرة وستجد مركبًا صغيرًا ينتظرك لينقلَكَ إلى سفينة بضائع، ستختبئ فيها وستعبُرُ المياه حتى تصل إلى المملكة.. نتمنى لك التوفيق.

شعرَ (ساري) بشيءٍ من الخوف.. لطالما كان يخشى البشرَ بشدة؛ إنهم مخلوقاتٌ متوحشة شريرة، قتلتْ مِن جنسه عشراتِ الآلاف، وأَسَرَت وعذَّبَت منهم الكثيرَ في السجن السرّي بما فيها قائدُ مدينتهم ووالدُه الذي أكملَ لهم بناءَ تلك المدينة حتى يتمكَّنوا من الاستمرارية بعيدًا عن بطش البشر.

ومنذ وُلد (ساري) وهو يعلمُ أن شعبَه يحاول بشكلٍ لا ينتهي إنقاذَ قائدِهم العظيم المميّز، والذي يقال إنه كان يملك ذيولًا وأجنحةً كذلك، ولم يكن يضاهيه أحدٌ في القوة، وهو مَن أوقَفَ بطشَ البشر بهم، وبنَى لهم تلكَ المدينة، وأنقذَهم مِن القتل والأسر. والآن، حانَ دورُهم لردِّ الجميل وإعادةِ القائد البطل كي يقودَهم أخيرًا في معركتهم ضد البشر؛ لعلهم يتمكَّنون- أخيرًا- من العيش فوق سطح الأرض، وبناء مملكتِهم الخاصة دون خوف أو اختباء.

دلَفَ (ساري) مِن الباب، وأغلقه مِن خلفه، وسادَ الظلام.

***

الفصل الثالث

(نسرينة)

ارتفعَ صوتُ المنبه مُعلنًا الساعةَ السادسة صباحًا، ومدّ (علي) يدَه دون تركيز ليغلق المنبّه، ثم تثاءب في كسلٍ وغمغم لنفسه: لديك خمسةُ أيام أجازة كي تنامَ فيها كما يحلو لك.

وتثاءب بقوة من جديد، ثم أزاح الغطاءَ ونهض بتكاسلٍ، وراح يبحث عن خُفَّيه بقدمه حتى وجدَهما تحت السرير، فدَسَّ قدميه فيهما، وتوجَّه نحو خزانة الثياب فأخرج ثيابَه وفوطةً وتوجَّه إلى الحمام.

بعد نصف ساعة، غادر الحمام منتعشًا، وقد أخذ حمّامًا وارتدى بلوفر برقبة وسروالًا، ومشَّطَ شعرَه الداكن الناعم، ثمّ ارتدى مئزر المطبخ فوقَ ثيابه وتوَجّه إلى الثلاجة فأخرج البيض والفلفل الملوّن والخبز والحليب والجبن.. وضع قطعتيْن كبيرتيْن مِن الخبز في آلة التحميص، وقطع الفلفل وخفَقَهُ مع البيض تمهيدًا لإعداده.

أتاه صوتُ المنبه من الغرفةِ الثانية، فبدأ بوضع الطعام على المائدة الصغيرة في المطبخ، وصبّ الحليب في كوبَيْن كبيرَيْن،

ثم هتف مناديًا: (نسرينة)، استيقظي أيّتها الكسولة.. الساعة الآن السابعة إلا الربع.

خرجَ من الحجرة فتاةٌ رقيقةٌ دقيقةُ الملامح، ترتدي منامَتَها، وقالت: صباحُ الخير أخي.

ردّ وهو يخلع المِئزر: صباح الخير يا (رين).. هيّا، لقد أعددتُ الفطور، تعالي لتناوله أولًا، ثم ارتدي ثيابَك وأعدّي نفسك.

قالت وهي تتوجّه إلى الحمام: سآتي بعد قليل.

توجّه نحو حجرته، فأعدَّ حقيبته، ووضع فيها بعضَ الكتب، ثم عاد إلى المطبخ، وكانت أختُه قد وصلت بدوْرها، فجلسا يتناولان الطعامَ، وقالت (نسرينة): طعامُك رائع كالعادة، سلمَتْ يداك.

كانت (نسرينة) فتاةً في الثامنة عشر مِن عمرها، في عامها الثاني في كلية العلوم، وكانت فتاةً جميلة تشبه والدتَها بشكلٍ كبير، لديها مرض تغاير تلون القزحية(Heterochromia). فكانت إحدى عينيها زرقاءَ اللون بينما الأخرى عنبرية.

وكانت تعيش مع أخيها الذي يكبرها بعشْرة أعوام، ويتولّى رعايتها، وهو شابٌّ شديدُ الوسامة، يعاملها بعطفٍ، ويدلّلُها كثيرًا، ويعمل في الجامعة كمدرسٍ لعلوم الحاسب.

انتهتْ من إفطارها قبل أخيها، فقالت: سأرتدي ثيابي بسرعة، لا تقلقْ فلن أؤخرك.

قال باسمًا- وهو يحمل الصحون والأطباق إلى غسالة الأطباق-: هذا ما تقولينه كلَّ مرة.

ثم عادَ يجلس، ومدَّ يدَه إلى جهاز التحكم ففتح التلفاز، لتطلَّ منه صورةٌ لمذيعة الأخبار. ألقى نظرةً على ساعة الحائط، وعاد يتابعُ المذيعة التي قالت:

تمكنتْ قواتُنا الباسلة اليوم من قتل عشرين مِن المفترسات، وأسرَتْ ثلاثةً منهم.. وقدْ صرّح رئيسُ شرطة مكافحة المفترسات السيد اللواء: (يوسف حسين أبو طالب)...

هتفتْ (نسرينة) مِن حجرتها: هل يتحدّثون عن جدي؟

ردّ (علي) بصوتٍ مرتفع: أجل.. يبدو أنهم قتلوا المزيدَ مِن المفترسات.

اختفتْ صورةُ المذيعة، وظهرت صورةُ اللواء (يوسف).. كان له شعرٌ أبيض ناعمٌ، وذقنٌ بيضاء خفيفة، وملامحُ وسيمة قاسية قليلًا، وعينان خضراوتان باردتان جدًّا، بل وميّتَتان. كانت تلك العينان تخيفان (نسرينة) و(علي) كذلك، وكانت (نسرينة) دائمًا تفكر في أنّ جدَّها بهاتين العينين قادرٌ على قتل رضيع دون أن يَغْمض له جفْنٌ.

كان جدُّها يقول- الآن- في التلفاز: وحيثما وجدْنَا هؤلاء المفترسات؛ فسنكون لهم بالمرصاد، ولن نسمح لأحدٍ بتهديد البشر.

صفَّق الإعلاميّون الحاضرون للمؤتمر، فأغلق (علي) التلفاز، وألقى جهاز التحكم جانبًا على المائدة، ثم نهض هاتفًا: الساعة قد أصبحت سبعة وثلث.. أسرعي وإلّا تخلفتِ عن حضور المحاضرة، وتأخرتُ أنا على عملي.

نهض إلى الصالة، وتوجّه إلى صورة موضوعة على مائدةٍ لوالدته، فتأمّلها قليلًا، وكانت تشبهُ ابنتها باستثناءِ العينين، وعاد يهتف: هل انتهيتِ يا (رين)؟

أسرعت (رين) حاملةً حقيبة يدها، وقد ارتدت بنطالًا فضفاضًا وبلوفر برقبة، وفوقَه سترةٌ طويلة شتوية بأكمام، وهتفت: انتهيت.. هيّا بنا.

غادرا المنزلَ الصغير المحاطَ بحديقةٍ جميلة، زرع فيها الأخوان الرَّيْحان والكاموميل.. تأملت (نسرينة) جارَهم الشابّ ذا الثلاثين عامًا، ضخم الجثمان البارد الذي وقف يروي النباتاتِ في حديقة منزله المواجِهِ لهم.

ووضع (علي) خوذةً سوداءعلى رأسه، ونظارة شمس على عينيه، ثم ركبَ دراجة نارية وجلستْ أختُه خلفَه، وانطلق نحو الجامعة.

وصلا إلى (جامعة الحياة) فقام (علي) بإيقاف دراجتِه في المرأب الواسع، وقال- وهو ينظر إلى ساعته-: إنها الثامنة إلا عشرة. هيّا؛ فأمامك عشرُ دقائق قبل محاضرتك.

قالت وهي تسرعُ الخطى بجواره: تمهّل قليلًا.

أبطأ حركتَه وقال: متى تنتهي محاضراتُك اليوم؟

قالت وهي تتأبَّط ذراعه: الساعة الواحدة.

غمغم: أنا سأنهي العملَ اليوم في الساعة الثالثة.. هل تفضّلين العودةَ إلى المنزل حتى أنتهي، أم نتَّبع خطتي؟

هتفَتْ في شوق: ما هي خطتُك؟

ردّ باسمًا: نذهبُ إلى مطعم رائع اكتشفْتُه صدفة لتناول الغداء، ثم نشتري علبةَ كعكٍ ونتوجّه إلى منزل جدي في السادسة مساءً.. ما رأيك؟

قالت وهي تتوجّه يسارًا، وقد تخلت عن ذراعه: سأنتظرُكَ في المكتبة.. إلى اللقاء.

لوّحَ- مودّعًا بدوره- ذراعَه هاتفًا: إلى اللقاء.. اعتني بنفسك.

وتطلّع نحوها حتى مرَّت من بوابة كلية العلوم وتوجهت نحو زميلاتها، ثم توجَّه إلى المبنى الإداري للجامعة؛ حيث قسْمُ المعلمِين المساعدين، فألقى التحيةَ على زملائه وجلس على مكتبِهِ وفتح جهاز الحاسوب أمامه، وراح يعمل.

***

في الساعة الحادية عشرة، توجّهت (رين) مع زملائها إلى معمل الأحياء الواسع، وجلست في موقعها، وفتحت الحاسوبَ أمامَها. وبعد قليل، دخلت المعلمة وكانت امرأةً نحيفة ذات شعر شائب، فألقتْ عليهم التحية وجلست في صدر القاعة، وقالت: اليوم كما أخبرتُكم آخر مرة سنبدأ درس المفترسات الشريرة.. وسيستمر الدرس لخمس محاضرات أخرى.. الآن سندرس الخطر الحقيقي الذي يتهدّد البشرية.

بدا الانتباه على الجميع، وعادت المعلمة تقول: هذا الجزء مِن المنهاج عليه درجاتٌ مرتفعة، وقد يؤهلكم التفوقُ في هذا الفرع إلى العملِ في إدارة مكافحة المفترسات.. وهو فخرٌ ما بعدَه فخرٌ، وشرفٌ ما بعدَه شرف.

سرتْ همهمةٌ بين الحضور، وبدا الحماسُ على أغلب الطلبة، فقالت المعلمة: والآن، هل قرأتُمُ الدرسَ كما طلبت منكم؟ ممتاز.. (نسرينة أحمد).. أخبريني ما هي تلك المفترسات الشريرة؟

نهضت (نسرينة) وقالت بثقة: المفترسات الشريرة.. مخلوقات ظهرت منذ مائتيْ عامٍ تقريبًا، وتحديدًا في عام ٢٠٧٠ ميلادية.. لا أحد يعلمُ متى وُجدت بالضبط.. تتَّخذ

شكلَ البشر وتتغذَّى على الغدد الصمَّاء في البشر.. خاصة الغدة النخامية. يمكنُ تمييزُهم عن طريق مراقبتِهم، فنلاحظُ أنّ عيونهم تتغيّر للوْنٍ أحمرَ قانٍ، أمّا عند تشريح الجسد فسنجدُ أنهم يمتلكون ذيولًا تنكمشُ وتتمدَّد وقتَ الحاجة، ويخفونها داخلَ أجسادهم.

هتفتِ المعلمةُ: ممتاز.. درجتان لتلك الإجابة.. ممتازٌ كالعادة يا (نسرينة).

ثم استدارتْ نحو الطلبة، وقالت: ابدؤوا التسجيل على الحاسوب.. المفترسات الشريرة تتحدَّث مثلَ البشر، وترتدي مثلَهم، وتتصرف أمامَ العامة بصورةٍ طبيعية.. هناك احتمالٌ أن يكونَ بعضُ الحاضرين مِن المفترسات ونحن لا ندري.. ثمَّةَ اختبار دم نقومُ بعملِه ونحدِّد مِن خلاله تبعًا لشكلِ كرات الدم وتركيب الدم إذا ما كان الشخصُ المشتَبَه به بشريًّا، أم من المفترسات؟ هذا اختبار مهمٌّ جدًّا وحاسم؛ لأنّ عدمَ الأكل ليس دليلًا كافيًا، وتلك المفترسات تتحكّم في تغيير لون عيونها من الأحمر إلى اللون الطبيعي والعكس. هل هناك أي سؤال؟

قال أحد الطلبة وهو يرفع يدَه مستأذنًا: لِم لا تعمل الحكومةُ على فرض اختبار الدم على جميعِ المواطنين؟

ردّت المعلمة: سؤال جيد.. الواقعُ هو أنّ هذا الاختبارَ مكلّفٌ جدًّا، ومن الصعب جدًّا تعميمُه.. كما أنّ بعضَ منظمات المجتمع المدني ستحتَجّ على شيءٍ كهذا باعتباره تشكيكًا عامًّا في المواطنين.

رفعتْ إحدى الطالبات يدَها، وقالت: ولكننا في المملكة.. اقتصادنا قويٌّ ويمكنُ تحمّل تلك التكلفة طالما نحمي أنفسنا من هؤلاء الوحوش.

ردّت المعلمة: ولكنه فعلًا اختبارٌ مكلّفٌ، وتعميمُه على ملياري بشريٍّ ليس سهلًا.. وأحيانًا يكونُ مِن السهل تزويرُ النتائج.. أجل يا (نسرينة).

قالت (نسرينة): ربما لا تريدُ الحكومة تعميمَ الاختبار حتى يظلَّ البشر في خوفٍ دائم من المفترسات.

سرتْ همهماتُ الاستنكار، وتطلّع إليها الجميع، والْتَمِعت عينا المعلمة بنظرةٍ غريبة، ثم أشارت إليها لتجلِسَ، وقالت: أيّة أسئلة أخرى. لا.. حسنًا.. سنبدأ الآن في أهم موضوع، وهو فئاتُ المفترسات.

جلست (نسرينة) وهي تشعر بالذهول.. لم تدرِ لماذا نهضتْ وقالت هذا الكلام العجيب! خُيِّل إليها وكأن شخصًا آخر بداخلها فعلَ ذلك لا هي.

وتجسّدت خلفَ المعلمة شاشةٌ ضخمة، وراحت تشير إليها بطرفِ عصا إلكترونية، وهي تشرح: قوموا بتحميل الصور على أجهزتكم. والآن، تأملوا معي تلك الصورة.. إنّ المفترسات تمتلك سلاحَيْن مهمَّيْن.. أولُهم ذيولٌ تتيح لهم الهجومَ والقتلَ، والسوائلُ التي تفرز مِن تلك الذيول. إن أضعفهم مَن يمتلك ذيلًا واحدًا، ويفرزُ منه مادةً مخدرة تتيحُ له تخديرَ ضحيّتَه من البشر.. ثانيهم القدرةُ على تجدّد الخلايا.

تأمّلت (رين) الذيلَ، وحمَّلت الصور، وقال أحد الطلبة: أستاذة.. هل همْ نوعٌ من الحشرات؟

ردّت المعلمة: العيِّنات التي قُمنا بتشريحها أكَّدت أن لهم تركيبًا قريبًا جدًّا مِن البشر، مع اختلافاتٍ سندرُسُها في العام الثالث. هذه الاختلافات في الدم وقدرة الخلايا على التجدّد ووجودِ الذيول.

تغيّرت الصورة على الشاشة، وقالت المعلمة: الفئة المتوسطة القوى تمتلك اثنيْن من الذيول، أحدهما يَحقِنُ مخدرًا، والأخر يحقنُ سمًّا قاتلًا.. هذان النوعان مِن السهل تمزيقُهم بإطلاق النار عليهم.. يمكن لقواتنا قتلُهم بسهولة. والآن، مع الفئة التي تُعتبر قوية، وهي الفئةُ الخطرة كذلك،

إنها تمتلك ثلاثَ ذيول إلّا أن شكلَ الذيول لحمِيٌّ ولا يشبهُ الذيول السابقة. أحدُهم يحقن مخدرًا، والثاني سمًّا، والثالث يحقن مادةً تصيب بالشلل، ولكنها تبقِي الضحيةَ حيَّة. والآن، انتهينا من الأنواع الشائعة في المفترسات.

مضت فترةُ صمت، ثم عادت المعلمةُ تقول: والآن، آخر جزء في الدرس.. هذه صورة أحد المفترسات ممّن ألقي القبضُ عليهم قبل ترحيله إلى السجن السري. والآن، حاولوا التماسكَ أمام الصورة.

شهقت (نسرينة) برغمها وقالتْ مندفعة: من هذا؟.. أهذا مفترس؟ ولماذا ينزفُ مِن ظهره؟

ردّت المعلمة: أجل.. لقد كان غيرَ مطيع؛ لذا قام الضابطُ بتأديبه كي يقف ثابتًا فيتِمَّ تصويره.

غمغمت (نسرينة):هل.. هل يتألمون عندما...؟

ردّت المعلمة: كثيرًا، يتم حقنُهم بمادةٍ توقف عملية التجدد، ولكن.. هل تشفقين عليه؟ تأملي الصورة ثانية إذًا.. كل تلك الدماء التي تسيل مِن ذيله هي دماءُ الجنود الذين قام بقتلهم.

ارتفعتْ بعضُ الشهقات، وقالت إحدى الطلبة: حقيرٌ، يستحق الموت تمزيقًا.

عادت المعلمةُ تقول: تلك المخلوقاتُ قدرتُها على التجدد عالية للغاية، وكما تروْن قد يستخدمُ الذيلَ كخُطّاف يمزّق ما أمامَه، ويمتد حتى ٣ أمتار، وربما أكثر.

أغلقت الشاشة، وقالت المعلمة: لقد انتهى الدرس.. هل مِن أسئلة؟

رفعَتْ (نسرينة) يدَها مستأذنة، ثم نهضت وقالت: قرأتُ بأن بعضَ العلماء يعتقد بوجود فئةٍ أخرى أكثر قوة.. هل هذا ممكن؟

ردّت المعلمة: تقصدين الذيول الرباعية؟ هي فئةٌ لم نرَها من قبْل، ولا نعلم عنها شيئًا.. هي نظرياتٌ ولكنها بلا وجود، لا توجد حالةٌ واحدة مسجَّلة، ولا دليلٌ واحد على وجود تلك الفئة.. أي أسئلة أخرى؟

عادت (نسرينة) تقول: هل مِن المُمكن التزاوجُ بينهم وبين البشر؟

ردّت المعلمة مستنكرة: فكرةٌ مقزّزة جدًّا. هناك إشاعات لا حقيقة لها.. حتى إذا تمّ مثل هذا الزواجُ فلن ينتج عنه أبناءٌ لنفس السبب.. أعني إمّا أن يحاربَ جسمُ الأم الجنينَ ويقتله، أو أنْ يقتل الجنينُ الأمّ، أو يهْلكَ جوعًا. والآن، في المرة القادمة سندرُسُ حاسة الشم لدى المفترسات.

غادرَ الجميعُ المعملَ، وكانت الساعة تقترب من الواحدة، وقالت إحدى الزميلات لـ (رين): كل عام وأنتِ بخير.. عيد أضحى سعيد.

ردّت (رين): وأنتِ بخير. أراكم بعد أسبوع.

وتوجّهت نحو مكتبةِ الجامعة الضخمة الشاسعة، فأحضرتْ كتابيْن وجلست في ركنها المعتاد تقرأ باهتمام وهدوء.. كان أحدُ الكتابَيْن بعنوان (نظريات عن المفترسات) والآخر بعنوان (الشرّ الكامن)، وكانت لّما تثير اهتمامها إحدى فقرات الكتاب تُخْرِج قلمَها ومفكرتها وتكتبُ فتسجّل المعلومة.. لم تشعرْ بمرور الوقت وهي جالسةٌ بين عشقها الأهم وهو الكتبُ حتى وجدتْ مَن يضع يدَه برفق على كتفها، فاستدارت نحو أخيها الذي قال باسمًا: مضطرٌّ لأخذك بعيدًا عن كتبك الحبيبة الآن، هيّا بنا.

نهضتْ قائلةً: تبدو مرهَقًا يا (علي).

ردّ وهو يهزُّ رأسه: أجل. لقد أجّلت الكثيرَ من أعمال الأسبوع لليوم حتى أتعب كثيرًا.. فلما أحصل على خمْسة أيام أجازة أستمتع بها.

ضحكت قائلة: نظريةٌ غريبة حقًّا.

سارت بجواره متوجّهين إلى المرآب، وقال: صبرًا حتى نتناولَ الغداء في هذا المطعم الرائع.. اكتشفتُه بالصدفة أول أمس.. تناولت فيه أروعَ كوبِ شاي.

قالت (رين) مستنكرة: ليس لديك فكرةٌ عن جودة الطعام به؟

ردّ وهو يخبطُها بكتفه برفق ممازحًا: هل أغامرُ بك يا بُنيّتي؟ أنتِ تعرفينني وتعرفين حاسّتي السادسة، وهي تخبرني بأن هذا المطعم رائع.

وصلا إلى المرأب، وقالت (رين): متى تنوي شراءَ سيارة؟

هتفَ مستنكرًا في مرح: لماذا تقولين هذا؟ ألا تستمتعين بمغامراتِنا في ركوب الدراجة؟

ردّت: لا أستمتعُ كثيرًا عندما يكون الجوّ باردًا أو ممطرًا.

قال: حسنًا. طالما تريدين مني شراءَ سيارة؛ فسأشتري سيارةً بعد العيد.

أحاطتْ وسطه بذراعيها بامتنانٍ بدون كلمة، وانطلقت الدراجةُ، وقال (علي): يا ربي لقد اقترب شحنُ البطارية على الانتهاء. ذكّريني بأن أوقفها عند الشمس حتى أشحنَ البطارية يا (رين).

كانت (رين) تتأمله صامتةً، لم يكن (علي) مجرد أخ فقط، بالنسبة لها كان أبًا وأمًّا وأخًا وصديقًا.

وصلا إلى وسط المدينة، وكانت تحبّ تلك المنطقة كثيرًا، وقال (علي) بصوتٍ مرتفع كي تَسْمعه: كما ترينَ المطعم في نهاية هذا الشارع في حي هادئ، يبعُدُ عن بيتنا نصفَ ساعة فقط ولكن من الجهة الثانية، لا من جهة الجامعة.

وقف أمامَ المطعم، ونزلت (رين) من خلفه، ووقفت تتأمل المطعم، وكان يحتل الطابقَ الأرضي من بناية قديمة الطراز جدًّا.

جيئ بالطعام، فجلسا يأكلان، وقال (علي): كيف كان يومك؟

ردّت (رين): كان مرهقًا، وخاصة المحاضرة الأخيرة. كانت عن المفترسات، أعتقدُ أنني أغضبت الأستاذةَ قليلًا. أحد الصور التي عرضَتْها كانت مؤلمةً، فقالت لي إنني لا ينبغي أن أشفقَ عليهم.

– ربما تكون على حق.

– تساءلت كذلك عما إن كان عدم تعميم اختبار الدم خطةً من الحكومة. لا تنظر إليَّ هكذا، فلم أدرِ لماذا قلت هذا، وكأن شخصًا آخر يعيش بداخلي وقد سيطرَ عليَّ وقال هذا.

شحبَ وجهُ (علي) قليلًا وهو ينظر إليها، فقالت: كنت أمزح.

قال (علي): دعينا لا نتحدث في تلك المواضيع أمام جدك أو جدتك رجاءً.. ولا حتى أخوالك.

غمغمَتْ (رين): معك حق.. خالو (حسين) منذ وفاة زوجته وهو مستسلمٌ للاكتئاب، وجَدّي مخيفٌ عندما نتحدث عنهم.

قال (علي) برفق حنون: علينا أن نعذُرَ خالو (حسين)؛ فقَدَ زوجتَه وهي حامل، وهذا مؤلم.. ولكنه تحسّن كثيرًا، والفضل يرجع لشريكه. أمّا جدي.. همّم.. حسنًا إنه مخيفٌ فعلًا.

ضحكت (رين) فقال (علي) باسمًا: أجل.. أرني ضحكتك الجميلة يا حبيبة قلبي.

وأشار إلى النادلة، فجاءت تحمل الأطباقَ الفارغة وطلب منها كأسيْن من الشاي وقطعتَيْ كعك.

***

توجَّه (علي) مع أخته إلى محلٍ للحلوى فابْتاع علبةً من الكعك، ثم توجّه إلى منزل الأسرة والذي كان خارجَ المنطقة التي يعيشون فيها، واستغرقت المسافةُ ساعةً حتى وصلا

أخيرًا أمامَ فيلّا محاطة بحديقة، فدلَفا إلى الحديقة؛ حيث كان اللواء (يوسف) جدُّهم- والد أمهم المتوفَّاة- يعنى بالحديقة فابتسم حينما رآهما، ولوَّح لهما فتوجَّها نحوه فاحتضن (علي) وقبَّله وقَبَّل (عليٌّ) بدوره يدَ جدِّه قائلًا:عيدًا سعيدًا يا جدي.

ردّ الجد: عيد سعيد.. تعالي يا (نسرينة).. ما هذا!! تبدين نحيفةً يا بنت.. ازْددتِ جمالًا.. كم عمرك الآن.. ١٨ عامًا؟ وأنت يا ولد كم عمرك.. ٢٨ عامًا؟ ألا تنوي الزواج؟

كان جدُّهم يتكلَّمُ بطريقة صارمة جادَّةٍ خاليةٍ من المرح، بها لهجةٌ آمرةٌ واضحة، فحينما كان يحدّثُ (علي) كان يبدو وكأنه يأمره بالزواج حالًا، فقال (علي): فقط أنهِ الماجستير وأحصلُ على الدكتوراة، وأصبح أستاذ جامعة وسأتزوج.

ردّ (يوسف): طلبتُ منك أن تأتي للعمل معنا؛ فأنت عبقري في الحاسب الآلي، ولكنك ترفض.

ردّ (علي) وهو يهزُّ رأسه: شكرًا لك يا جدي.. ولكنني سعيدٌ بعملي الحالي.

ردَّ جدُّه في برود: نحن في حالةِ حربٍ مع المفترسات، ونحتاج إلى كلِّ الكفاءات، وأنت تنسحِبُ من المعركة مفضّلًا حياتك الهادئة. ليكن.. هيّا إلى الداخل فالجوُّ باردٌ؛ فنحنُ في نوفمبر.

دلفا إلى الفيلا الدافئة، وكانت جدَّتُهم جالسةً على أحد الأرائك بشعرها الفضي، فتوجَّه نحوها (علي) وانحنى يقَبّلها على جبينها قائلًا: جدتي الحبيبة.. كيف حالك؟

ربتَتْ على رأسه قائلةً بلهفة: مرحبًا بحفيدي الغالي.

ونهضتْ تحتضنُ (رين) في حرارةٍ هاتفة: لم أرَكِ منذُ أسبوعيْن يا بنت.. هل يُعقل هذا؟

– آسفة.. مشغولة جدًّا في الكلية.

ووضع (علي) علبةَ الكعك على مائدة الطعام، وقالت الجدة: لقد أحضرَ جدُّك عجلًا ليذبحه هذا العام؛ غدًا أولُ أيام العيد.

ردّ (علي): لا يمكنني المشاركةَ في الذبح كما تعلمين؛ فقلبي لن يحتمل.

بعد قليل، سمعوا صوتًا مرحًا قادمًا من خارج الفيلا، ثم دلفَ خالُهم الأصغر وهو يهتف: (نسرينة)، تعالي إلى حضن خالو.

كان هذا خالَها الصغير (حسن)، والذي كان في الخامسة والثلاثين من عمره، ومتزوجٌ ولديه طفلٌ عمره أربعة أعوام، وزوجته حاملٌ في الشهر الثالث.

كانت له عيونٌ خضراء كوالده، ولكنها دافئة للغاية، ويعمل في قوات مكافحة المفترسات.

احتضنها بحرارةٍ قائلًا: عيد سعيد.. هيّا.. سلِّمي على زوجتي (فاتن).. لم ترَيْ ابني منذ أربعة أشهر كاملة.. لقد اشتاق إليك.

احتضنْتُ زوجتَه واحتضنْتُ الطفلَ، وهتف (علي): خالو، أين العيدية؟

ردّ (حسن) بمرح: لا تقلْ خالو هذه يا ولدْ بصوتٍ مرتفع.. ستجعلني أبدو عجوزًا، بينما أنا أكبر منك بـ ٧ سنوات فقط.

بعد قليل، وصل خالُها الكبير (حسين)، وكان رجلًا في الأربعين، له ملامحُ طيبة، وعيون داكنة، وشعرٌ حليق تتخلّله بعضُ الخصل البيضاء، وكان يرتدي كالعادة بدلةً أسفل المعطف.

احتضن (علي) واحتضنها، وقبّل رأسها، ثم جلسوا جميعًا يتناولون العشاء.

قال جدهم: علينا أن نهنئ (حسن) فقد ترقّى إلى رتبة نقيب.

هتفَ الجميعُ: ألف مبروك.

عاد اللواءُ يقول بلهجته الجافة الصارمة: ليس سهلًا أن يترقّى المرء في قوات مكافحة المفترسات. الآن أنا سعيدٌ

وفخورٌ للغاية؛ فولدي الكبير أصبح عقيدًا في سنٍّ صغير، وولدي الثاني الآن نقيبًا، ونحن الثلاثة نعمل على تأمين المملكة وتطهير أراضينا من هؤلاء الأوغاد.

غمغمت الجدة: مِن المؤسف عدم وجود ابنتنا (سلمى) الآن.. كانت لتعدّ كعكة للاحتفال بهذه المناسبة.

واغرورقتْ عيناها بالدموع، وتطلَّعت نحو (رين) مكمِّلة: ماتتْ وتركتْكِ رضيعةً يا صغيرتي.

ردَّد الجميعُ عباراتِ الترحّم عليها.

وعادت الجدَّةُ تتطلّع إلى (علي) صامتة، فالفتى تخلَّى عنه والده وتزوَّج وتركَهُ وتوفِّيَت والدتُه كذلك.

***

في المساء، جلستْ (رين) مع أخيها (علي) وزوجةِ خالها يلعبان الورق، بينما جلست الجدة تشاهدُ التلفاز مع حفيدها الصغير ابن (حسن)، بينما جلس الجدُّ مع ولدَيْه (حسين) و(حسن) يتحدثون عن المفترسات، وكان صوتهم مرتفعًا نوعًا ما، فأنصت لهم الجميعُ بدون قصد، وقال (يوسف): هل تذكُر يا (حسين) ذلك المفترس الوغد الذي كان مع امرأته؟

ردّ (حسين): أجل. كلاهما كان شرسًا جدًّا. لقد أصِبْتُ وقتها.

ردّ اللواء (يوسف): لقد كنتَ حديثَ التخرج، ولم تكتسب الخبرةَ بعد، ولكنك أبْليْتَ جيدًا. وكيف حالُ شريكك الصغير (ياسر)؟ كم عمرُه؟

ردّ (حسين): هذا الصبي عمرُه خمسة عشر عامًا، ولكنني لم أرَ من قبل مقاتلًا بهذه القوة.. الصبي بارعٌ جدًّا، ويعرف كيف يحمي ظهري.

هزّ (يوسف) رأسَه في رضًى، وقال: ممتاز.. وأنت يا (حسن).. مَن سيكون شريكُك الجديد؟

ردّ (حسن): إنه العميد (جون وليم).

ردّ (يوسف): آه، إنه ممتاز جدًّا. إنه صديقي وستتعلم منه الكثير.. أنت محظوظٌ حقًّا.. هل تعلم أن المفترسات قد قتلت زوجتَه وابنتَه وطفله؟

تطلّعت (رين) نحو (حسين) بسرعة، الذي نهض إلى الشرفة دون كلمة، وأدرك الأب زلة لسانه، فقال: جرحتُه دون قصد.. كلا، ابقوْا جميعًا، ودعوه وحده قليلًا.

بعد مضي عشر دقائق، نهضت (رين) ومعها قدحُ قهوة، وتوجّهت إلى الشرفة، وناولت خالَها القدح، فنظر إليها ثم تناول القدحَ وغمغم: شكرًا.

مضت ثوانٍ مِن الصمت، ثم قالت (رين): أنا آسفة حقًّا يا خالو.

استدارَ (حسين) إليها، وقال: لماذا تعتذرين؟

ردَّت: لأنني لا أملكُ تقديم أيّ دعم آخر لك.

ارتفعَ حاجباه من ردّها ثم قال: لا بأسَ يا (رين). أنتِ فتاةٌ صالحة، ورثتِ طيبةَ قلب والدتِك، أحسن أخوك تنشئتك فعلًا.

هتفتْ (رين): ولكنّك أنت مَن تولَّيت رعايتنا في طفولتنا.

ردّ (حسين): أجل.. راعيتكم لعشرة أعوام، ثم تخلَّيْت عنكم.

هتفتْ (رين): كنتُ في حالة نفسية صعبة.. لقد فعلتَ الصواب يا خالو، فما كانت لديك المقدرةُ على رعايتنا وقتها، وأخي يرعاني جيدًا جدًّا.. إنه أفضل أخ في الدنيا.

رشفَ مِن قدح القهوة، فقالت: أنا فقدت والديَّ وعمري يوم واحد، صدقني.. أنا أشعر بك.

لم يردّ، وظلّ ينظر إلى الحديقة، فقالت: اليوم في الكلية كنا ندرسُ عن المفترسات، وللحظة شعرتُ بشيءٍ مِن الشفقة عليهم، ولكنني الآن أكرههم أكثر وأكثر يا خالو، وأفكّر بعد إنهاء دراستي في العمل معكم للقضاءِ عليهم.

ردّ (حسين) وهو يتطلّع إليها: ولكن.. هل أنتِ متأكدة مِن هذا القرار يا (رين)؟

هزَّت رأسها قائلة بحسم: أجل.

تأمَّلها لثوانٍ وناداها (علي) فقالت: سأرى ما يريد.

وظلّ (حسين) يتطلّع إلى حيث غادرت، وقال:أتساءل إن كان ما فعلتُهُ بك في الماضي هو السببَ في فقداني لزوجتي وطفلي في أحشائها.. أهو جزاءٌ عادل لمشاركتي في حرمانك من... أمْ مجرد مصادفة لا أكثر؟!

***

تجاوزت الساعةُ الثانيةَ عشرة، ونهض (يوسف) معلنًا أن وقت النوم قد حان.

تثاءَبَ (حسن) في إرهاق، وحمل طفله الذي استغرق في النوم على الأريكة، وتبعَتْه زوجته إلى غرفته المخصصة لهم في الطابق العلوي. تمنَّوْا ليلة سعيدة للجميع، وتبعهم (حسين).

نهضتْ (رين) مع أخيها لينا ما في حجرة والدتهما كالمعتاد، وتمنَّت ليلة سعيدة للجميع. كانت الحجرةُ نظيفةً ممّا يؤكد أنهم يعتنون بها، وكان لونُ جدرانِها بنفسجيٌّ هادئ، وقد رسمت على الحوائط رسومات متنوعة ما بين بحرٍ تسبح فيه الأسماك

وتلمعُ فيه القواقعُ على أحد الجدران إلى غابةٍ خضراء تقفُ فيها الحيواناتُ في شموخ في الجدار المقابل، أمّا سقفُ الحجرة فقد رُسم عليه الفضاءُ بنجومه وبعض كواكبه. قال (علي) في فخر: كانت ماما- رحمها الله- فنانةً بارعةً جدًّا.. لقد نمت على هذا السرير كثيرًا من قبل، وستَنَامِينَ أنتِ عليه الليلة.

غمغمتْ (رين): أنتَ تقول هذا كلَّ عام، شكرًا أخي.

قال باسمًا وهو يتأمَّلها: ما هذا التأثر؟ هل ستبكِين الآن؟

ردَّت مازحة: اخرس.

واسْتلقت على السرير، بينما ألقى أخوها بنفسه على الفراش بالأرض، وقال: كم أنا مرهق.

أغلقتْ (نسرينة) الضوءَ، وتغطَّت في الفراش، وغمغمت: لا توجد رائحةٌ على السرير.. كنت أتمنَّى إن شمَمْت رائحةَ أمي.

ردّ (علي) وهو يتطلّع إلى السقف: كانت لها رائحةٌ عطرة.. كان لديها عطرٌ برائحة خشب الصندل والمسك، تحبُّ وضعَه في المنزل.

مضتْ لحظةُ صمت، ثم قالت (رين) بحذر: أخي، إذا سألتك سؤالًا هل تجيبُني بصراحة؟

ردَّ بهدوء: ومتى لمْ أكنْ صريحًا يا (رين)؟!

قالت: لأن السؤال حساسٌ نوعًا.. أخي، أنت كنت كبيرًا بما يكفي.. أنت دائمًا تحكي لي عن ماما، ولكن.. هل يمكنني أن أسألك عن أبي؟

لم يردّ، فعادت تقول: سألتُك عنه مِن قبْل، ولكنك لم تجب.

غمغم: أنا لا أذكره كثيرًا.. لقد كان عمري تسعةَ أعوام عندما تزوّج من ماما، ولكنه لم يبقَ سوى عامٍ واحد.

مضت دقيقة صمت، ثم عاد (علي) يقول: لقد احتفظتُ لكِ بصورةٍ له وهي لديْك في حقيبتك.. أليس كذلك؟

غمغمَتْ (رين): في العام الذي عاش معكم فيه هل عامَلك جيدًا؟

ردّ (علي): أجل، كان حنونًا وطيبًا في الواقع، ولم يسئ إليّ بأي شكل.. كان أبًا أفضلَ من أبي بكثير.

عادت (رين) تقول: هل تظن أنه يفكر في على الإطلاق؟

ردّ (علي): لا أدري.. إنّ بعض الرجال لهم تفكيرٌ لا أفهمه برغم أنني منهم. إن كان لدي ابنٌ أو ابنة لَمَا توقَّفت عن

رؤيته يوميًّا. ومع ذلك.. والدي لم يرني ولو مرة منذ وُلدت، وتزوّج وأصبح لديه أسرة ثانية، وبشكل ما قامَ بمحْوِي من ذاكرته.. وأنتِ يا (رين) بعد وفاة ماما اختفى والدُك تمامًا.. صدّقيني أنا لا أعرفُ عنه أي شيء.

نهضَتْ (رين) وهبطَتْ من السرير لتجلس بجوار أخيها، وقالت: كنت مترددةً، ولكن هناك فكرةٌ في عقلي منذ مدة.. أعني أن جدي له منصبٌ مهمٌّ جدًّا، وكذلك أخوالي.. وكنت أفكّر في أنه يمكنهم القيامُ بالبحث عنه.

ربَتَ (علي) على رأسها، وقال: وإذا أخبرتُك أن خالو (حسين) وجدُّو (يوسف) فعلوا هذا بالفعل من قبْل دون جدوى.

تطلَّعتْ نحوه للحظة، ثم قالت: لم تخبرني من قبْل.. لماذا؟

قال: بما أخبرك؟ بأنّ والدك اختفى دون أثر.

نهضت عائدةً إلى سريرها دون كلمة، فقال (علي): (رين).. هل أحزنْتُك؟

ابتسمَتْ (رين) وقالت: مطلقًا.. تصبح على خير يا (علي).

ردّ باسمًا: تصبحين على خير يا (رين).

في الصباح، نهضت الأسرة واجتمعت حول مائدة الإفطار، وراحوا يتحدّثون، وقامت الخادمة بإعداد القهوة وهي خادمة تأتي في السابعة صباحًا، ثم تغادر في السابعة مساءً.

مضى يوم وقفة العيد على ما يرام، ونهض الجميعُ لصلاة الفجر في المسجد القريب، وبعدها بساعة وربع صلاة العيد، وعادوا إلى الفيلا حيث قام جدُّها بذبح العجل بكل قوة، ولم يكنْ يبدو عليه أنه رجلٌ في الستين من عمره، وعاونه أبناؤه، بينما اختبأت (رين) في حجرتها وبعد مضي أيام العيد حانَ وقتُ العودة.

وقرّر (حسين) إيصالَهم بسيارته إلى المنزل، وسلّم (علي) على الجميع، وكذلك فعلتْ (رين) خاصة زوجة خالها اللطيفة، والطفل الذي تعلق بها.. وغادروا الفيلا إلى الشارع. (رين) وأخوها وخالها (حسين) وصاح (علي) محتجًّا: وماذا عن الدراجة؟

ردّ (حسين) وهو يضغط زرًّا في ساعته، ففُتحت أبوابُ السيارة: هل جُننْت حتى تركب الدراجة مع تلك الأمطار؟! سأحضر لك الدراجة لاحقًا.

أسرعتْ (رين) و(علي) لركوبِ السيارة، وضغط (حسين) زرًّا في السيارة، فانبعثَ صوتٌ آلي: الوجهة.

أملى (حسين) العنوانَ ثم استرخَى على كرسي القيادة تاركًا السيارة تتحرك وحدها، وقال: كيف حالُ دراستك وعملُك يا (علي)؟

ردّ (علي): بخير. بعد خمسة أشهر سأناقش الماجستير.. عملي كذلك على ما يُرام.

عاد (حسين) يسأل: وأنتِ يا (نسرينة)، كيف حال الكلية؟

ردّت بحماس: بخير. لقد قرَّرت التخصصَ في علم المفترسات، وأنوي العمل لديكم بعد التخرج.

استدارَ (حسين) نحوها، وقال باسمًا: هذا الخبر أسعدَ جدَّك كثيرًا.. راح يقول انْظُروا إلى (نسرينة).. كلّ يوم تُشبه أمَّها أكثر وأكثر.

كان جدُّها قد قال هذا فعلًا، ولم يعجب هذا الكلام جدَّتَها، وقالت (رين): هل كانت أمي تعملُ معكم؟ كنت أظنُّ أنها لم تفعل.

ردَّ (حسين): لا.. لم تعمل معنا، كانت لها طبيعةٌ رقيقة، وكانتْ لا تحبُّ عملَنا.. لقد عملت معلمةً للرسم.

قالت (رين): لست بارعةً في الرسم. (علي) هو مَن ورثَ منها تلك الصفة.

ابتسمَ (حسين) وهو يتأمَّلهم، ثم قال فجاة: إذا احْتجتم إلى أي شيء؛ اتصلوا بي.

قال (علي) بسرعة: أنت أوّل مَن نتصل به، نحن بخير فلا تقلق.

وابْتسمت (رين) فقد عاد خالُها يتحدّث معها باستفاضة، فحتَّى العام الماضي كان يردُّ باقْتضاب، ويشردُ طوال الوقت.

قال (علي): لقد وصلنا.

استدارَ (حسين) يتطلّع أمامه، وقال: حسنًا، إلى اللقاء إذًا.. اعتنوا بأنفسكم جيدًا.

قبَّلتْه (رين) في وجْنته وهي تغادر، وهتف كلاهُما: إلى اللقاء.

– إلى اللقاء.

***

الفصل الرابع
(الحادثة)

في صباح يوم السبت باكرًا، استيقظ (حسن) في السادسة، وفكّر في إيقاظ زوجته لتعدَّ له الإفطار، ثم أشفقَ عليها.. فليدعها تنام قليلًا، خاصة وهي حامل وتشتكي مِن ظهرها وتورُّم قدمها. نهض بهدوءٍ شديد وأعدَّ لنفسه كوبًا مِن القهوة، وقطَعَ لنفسه قطعةً من الكيك الذي أعدَّتْه زوجتُه بالأمس.. ليس إفطارًا صحيًّا، ولكنه سيؤدي الغرضَ حتى يشتري شيئًا ما يؤكَل مِن أي مطعم.

غادر المنزل، كان متوترًا؛ ولهذا نهضَ باكرًا، فموعد عمله في الثامنة صباحًا، ولكنه كان مُتهيبًا من لقاء شريكه الجديد ورئيسه (جون وليم)، الذي لا يقلُّ شهرةً عن والده اللواء (يوسف)، فكلاهما مِن أشهر مَن عمل في مكافحة المفترسات، وكلاهما يفتخرُ بعدد قتلاهم.

وصل إلى مبنى مكافحة المفترسات المهيب، وألقى تحيةَ الصباح على الأمن والسكرتارية، ثم توجَّه نحو أحد المصاعد، ووقف أمامه ثابتًا. خرج من المصعد شعاعُ مسح

بصمة العين، ثم ظهرَ بجوار المصعد مربعٌ صغير به شاشة، وضع (حسن) كفَّه عليها لمسْح البصمات، ثم فتحَ المصعدَ وضغَطَ (حسن) على زرِّ الطابق الثالث.

حينما غادر المصعدَ، وجد العميد (جون وليم) واقفًا يتحدث مع بعض زملائه. كان في أواخر الخمسينيات من عمره، له وجهٌ غريبُ الأطوار، وعيونٌ رمادية، وأنفٌ غريب.

مازال عميدًا؛ لأنه يرفضُ الترقيات، فهو لا يرغبُ بأن يدير العملياتِ مِن مكتبه، ولا يعشق سوى أن يكون في قلب الأحداث.

أدَّى (حسن) التحيةَ العسكرية بصرامة، ووقف وقدْ فرَدَ قامتَه باستقامة، فاستدار (جون) نحوه، وقال: أنت النقيب (حسن) ابن اللواء (يوسف)؟

واستأذن زملاءه، ثم سارَ وأشارَ إلى (حسن) كي يسير بجواره، وقال: سجلُّك مشرِّف.. لديك زوجةٌ وطفل، أليس كذلك؟

ردّ (حسن): أجل يا سيدي.

وقف (جون) واستدار نحوه، وقال: دعْني أخبرك بأمرٍ في غاية الأهمية.. أنا لا أطيقُ الألقاب والرسمياتِ لأنها

مَضْيعةٌ للوقت والجهد. أنت شريكي.. واسمك (حسن)، وأنا شريكك.. واسمي (جون)، كلانا يحمي ظهرَ بعضنا البعض.. مفهوم؟

ردّ (حسن): أجل يا سيدي، أقصد.. يا سيد (جون).

عاد (جون) يسير، وقال: هل ودَّعت أسرتك؟

غمغمَ حسن: عفوًا؟!

قال (جون): نحن الآن سنعمل يوميًّا تقريبًا في الشوارع، وسنكون عرضةً للقتل؛ لذا عليك أنْ تعتاد على توديع أسرتك يوميًّا.. مجرد اقتراح.

غادرا مبنى مكافحة المفترسات، وركب (حسن) سيارة (جون)، وانطلق (جون) بالسيارة عبر الطريق الوحيد كثيفِ الحراسة الذي يربط بين المبنى والمدينة.

وصلا إلى أحد الأحياء الهادئة، وتحديدًا وقفَ بالقرب من مبنى قيد الإنشاء.. وهبطَ من السيارة.

قال (جون): تأمّل هذه الطفلة هناك في الحديقة العامة، جاءنا بلاغٌ يتعلّق بأسرتها.

تطلّع (حسن) إلى حيث يشير (جون) بعينيه، كان بالشارع المقابل حديقةٌ عامة جميلة، وقد راحتْ طفلة في الثامنة من عمرها تلعبُ على الأرجوحة، وكانت الحديقةُ

خالية في مثل هذا الوقتِ من الصباح، وعاد العميد يقول: أخبرني ماذا ترى؟

ردّ (حسن) في حيرة: طفلةٌ تلعب وحدَها في الحديقة، أظنُّها في الثامنة أو التاسعة مِن عمرِها، وربما تكون من سكّان الحي.

قال (جون): افتحْ حقيبة السيارة، وأحْضر سلاحك الجديد منها.

فتح (حسن) السيارة، فوجد بندقيةً خاصة صغيرة الحجم، تناولها ونظر نحو شريكه، فقال (جون): أنت تجيدُ القتال.. أليس كذلك؟ هذا السلاح يحوي طلقاتٍ خاصةً تمنع المفترسات من التجدّد؛ لأنّ الأسلحة النارية التقليدية لا تصلح. هذا السلاحُ مصنوعٌ بأحدث تكنولوجية تجعل الرصاصة تفرزُ مادةً خاصة داخل دم المفترس توقِفُ عمليةَ التجدّد. والآن، أخبرني مِن جديد.. ماذا ترى؟

غمغمَ (حسن): هل تعني أن هناك مفترسًا قريبًا مِن هنا يتربّص بتلك الطفلة؟

ردّ (جون) وقد ارتسمت على شفتَيْه ابتسامةٌ: الطفلةُ مِن المفترسات.

هتفَ حسن: ماذا؟! هذه أول مرة أتعاملُ مع مفترسٍ صغير.

ردّ (جون): حاربتهم لخمسٍ وثلاثين عامًا، حتى أصبحت أجيدُ تمييزهم دون اختبارات.. والآن، استعدّ فالطفلة مِن الفئة النادرة.

غمغمَ (حسن) معترضًا: هل تعني أنك تعتمدُ على حدسك فقط؟

ردّ (جون) وهو يتوجّه نحو الحديقة: أجل.

تساءل «حسن» إن كان شريكُه الجديد يستحقّ سمعتَه، أم إنه مخبول؟

تحرّك (حسن) خلفه حتى وصلا إلى الحديقة، وتوجّه (جون) نحو الطفلة، فتطلّعت نحوه بحيرة. كانت تطعم قطةً صغيرة قطعةَ خبزٍ قبل ثوانٍ، ثم وقفت واستدارت نحوه، فقال (جون): ما أطيبَ قلبك!.. تطعمين القططَ صباحًا، وتلتهِمين غددَ البشر مساءً.

وأخرجَ سلاحه فتراجع (حسن) مستنكرًا، وتراجعت الطفلةُ وهي تصرخ مذعورةً، فضحك (جون) قائلًا: لن يفيدك الصراخُ ولا البكاء يا فتاة.

سقطتِ الطفلةُ أرضًا، وبدأت تبكي صارخة: ابتعد عني.

وبرزَ لها ثلاثةُ ذيول حمراء.

هتف (جون): أخرجْ سلاحَك يا (حسن).

وأطلقَ (جون) عليها عدّةَ طلقات قبل أن تصلَ الذيول إلى جسده فتمزقه.

وقفَ صامتًا يراقب جثةَ الطفلة الممَدّدة، ثم استدار نحو (حسن) الشاحبِ الوجْه، وقال: كان يومُك الأول معي حافلًا. والآن، هيّا بنا نتناولُ شيئًا فأنا أشعرُ بالجوع، ونذهب إلى المجارير غرب القطاع؛ فهناك تجمّع للمفترسات.. سنتّصل في الطريق بالمركز كي يأتوا لنقل الجثة.

- ....

***

مع قدوم شهر ديسمبر، ازداد الطقسُ برودةً، وكانت أقصى متعة بالنسبة لـ (رين) أنْ تظل نائمةً تحت الأغطية دون أن تضطر إلى الاستيقاظ في الصباح الباكر، ولذا كانت سعيدةً صباح هذا اليوم لأنه أجازة من الكلية، وظلت نائمةً حتى التاسعة صباحًا، ثم نهضت في تكاسل. غادر أخوها باكرًا إلى عمله، وقد تناول إفطاره، وترك لها نصيبَها مغطًّى بإحكام.. ترك لها ورقةً على الثلاجة فقرأتها:

«سيأتي اليومَ عاملُ التوصيل لإيصال مراجع هامة»

غسلتْ وجهَهَا، وجلست تتناول الإفطار، وهي تتابع شاشة التلفاز بلا تركيز.

حملتِ الأطباقَ وغسلتها، ثم دلفت إلى حجرتها فأخرجتْ حاسوبها. لديها بحثٌ عليها الانتهاءُ منه، ولكنها تؤجله كلَّ مرة.

ارتفع صوتُ جرس الباب الخارجي للمنزل. نهضت متحيّرةً؛ فليس الآن موعدُ عودة أخيها.. فهل مِن المعقول أنّ عاملَ التوصيل قد جاء باكرًا هكذا؟!

غادرتِ المنزلَ، وعبرت الحديقة الصغيرة، وتطلّعت إلى الشاب الواقف أمامَ الباب الحديدي الصغير للحديقة متسائلة...

رفع عينيه إليها، وراح يحدّق فيها.. شعرتْ بالضيق.. كان يبدو مهذبًا وليس مِن النوعية التي تتغزّل في الفتيات أو تتحرّش بهن، فلماذا هذا التحديق؟ ثم قال مرتبكًا: عفوًا.. هذا هو المنزل رقم ١٠.. أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

- إنه أنا.. (ساري).

- هل أحضرت المراجع؟

- أي مراجع؟

- ألست عامل التوصيل؟

- أليس هذا منزل الدكتور (بسام)؟

ابتسمت (رين) برغمْها، وقالت: كلا.. إنه المنزل المواجه لنا.. رقمه ١٢

- أعتذرُ على سوء الفهم.

- لا عليك.

ولكنه عاد يحدّق فيها، وكأنه يأمل بشيء فاستدارت بلا مبالاة.

عادت إلى المنزل لتحضر إناء الماء، وعادت إلى الحديقة لتروي النباتات، واختلستِ النظر إلى جارها الضخم الصموت، وهو يستقبل هذا الشابَّ الوسيم ويُدْخله إلى بيته، وقد بدا غاضبًا قليلاً.

***

اقتربتْ مواعيدُ الامتحانات، وجلست (رين) في مكانها المعتاد في المعمل، بينما راحتْ صورٌ تُعرض عن تشريح أنفِ المفترسات.. وختمت المعلمة قولَها: ملخص المحاضرة.. أنّ المفترسات حاسَّتهم تتيحُ لهم التعرفَ على بعضهم البعض وعلى البشر من خلال الرائحة.. وتتيحُ لهم معرفةَ مدى صحّة الغدد لدى شخصٍ مُعين مِن الرائحة كذلك.. أراكم الأسبوعَ القادم.

نهضَ الطلبة مغادِرين، وتوجَّهت (رين) نحو الخارج، ثم أخرجتْ هاتفها الصغير، وضغطتْ زرًّا لتتصل بأخيها.

ظهرَ أخوها في الكاميرا، فقالت: لقد انتهيت.. هل نلتقي في المطعم؟ هل مازال لديك عمل؟

ردّ أخوها: أه.. للأسف قد أتأخر بعضَ الشيء.. توجّهي للمطعم وتناولي العشاء، ولا تغادري لوحدك قبل أن آتي.

ردّت معترضةً: أنا لست طفلةً كما تعلم.

قال بجدّية: نحن الآن بالليل.. لن أدعَكِ تذهبين إلى أي مكان لوحدك بالليل.. إنْ كان الوقتُ صباحًا لتركتُكِ تعودي للمنزل وحدك.

تنهَّدت وقالت: ليكن، ولكن لا تتأخر كثيرًا.

وأغلقتِ الهاتف، ثم غادرتِ الجامعة متوجهةً إلى المطعم، والذي كانت تحبُّ موقعَه الوسطي كثيرًا، فهو يبعدُ عن الجامعة بحوالي نصف ساعة، ويبعد عن المنزل حوالي نصف ساعة سيرًا.

حينما وصلتْ إلى المطعم كان الازدحام قد قلَّ قليلًا، فجلست على أحد الموائد، وطلبت فطيرة الجبنة الحجم الصغير، وكوبًا من عصير البرتقال الطازج.

وأخرجتْ هي الحاسوبَ مِن حقيبتها، ثم فتحتْهُ ودخلت إلى موقع المكتبة العامة للجامعة. كان عليها إنهاءُ البحث عن المفترسات، وتقديمه للمعلمة مع قرب امتحانات الفصل الدراسي الأول.. راحت تسجّل بصوتٍ خفيض ما تحتاجُه على الحاسب الذي كان يكتبُ ما تقول. جاء النادلُ بعد ربع ساعة بالطعام والعصير فشكرَتْه. الساعة التاسعة الآن، ولم يأتِ أخوها.

حانتْ منها التفاتةٌ ففوجئت بجارها الصموت (بسام) ومعه قريبه المدعو (ساري)، وقد جلسا في مائدة بعيدة، وكان (بسام) يحمْلِق فيها باهتمام، فلما تطلّعت نحوه أبعَدَ عينيه سريعًا.

قالت لنفسها إنّ جارها هذا غريبُ الأطوار حقًّا.. حاول أخوها مِن قبل والجيران في المنطقة التقرّب إليه عندما كان وافدًا جديدًا، ولكنهم فشلوا إذ عاملَهُم جميعًا ببرودٍ وتجاهل، وفي النهاية قام بعضُ الجيران بالإبلاغ عنه أنه مفترس، ولكن تحرياتِ الشرطة كانتْ بلا جدوى، وتحليل الدم أثبت أنه بشري.

بدأ روّاد المطعم يغادرون، وهنا فتح الباب بصوت الجرس المحبب، ودلَفَ إلى المكان امرأة أنيقة شائبة الشعر..

رفعَتْ (نسرينة) عينيْها فوجدت معلِّمتها.. هتفتْ مُرَحِّبة في حرارة: دكتورة.. مرحبًا.

تطلّعت المعلمةُ نحو الصوت، ثم تهلَّلت أساريرُها، وقالت: مرحبًا (نسرينة).. يا لها مِن صدفةٍ رائعة.

نهضتْ (نسرينة) وأشارتْ إلى المعلمة كي تنضمّ إليها، فقالت المعلمةُ بلهجةٍ مهذَّبة: لن أبقى كثيرًا.

وجلست معها، وطلبت فنجانَ قهوة، ثم قالت: تأخّر الوقت إلى حدٍّ ما.. ألا يقلق أخوك دائمًا عليكِ؟

ردَّت (نسرينة): سوف يأتي بعد قليل.. لقد فوجئ اليوم بعملٍ إضافي، واجتماع مفاجئ ممّا أخّره عن موعده المعتاد.

هزّت المعلمةُ رأسَها متفهِّمةً، ثم قالت: عليه بذلُ المزيد مِن الجهد كي ينجحَ في رسالة الماجستير.. وأنتِ كيف حالُ البحث؟.. لقد توقّعت أن تكوني أولَ من يُسلّمني إياه.

احْمَرّ وجه (رين) قليلًا، وغمغمَتْ: لقد أوشكتُ على الانتهاء منه.

جاء النادلُ بفنجانِ القهوة، فرشفضتِ المعلمةُ منه.

قال (ساري) بصوتٍ هامس: أليست تلك هي المعلّمة التي تدَرّس في كلية العلوم علم المفترسات؟

ردّ (بسام): أجل.

ثم تطلّع نحو المُعلمة في كراهيةٍ، وقال: لا أطيق رؤيتَها.

كانت (رين) تقول لمعلّمتها: ثمة شيء لا أفهمه.

ردّت المعلمةُ وهي ترشفُ مِن قدح القهوة: اسأليني ما شئتِ.

قالت (رين) في حيرة: في عام ٢٠٧٠م وقعت حربٌ بين البشر و (ألفا)، استُخدِمَت فيها أسلحةٌ نووية كانت السبب في مقتل ٣ مليار إنسان وتدمير الدول وضياع الحضارة.. ولكن أين كانت المفترسات قبل هذا الوقت؟

لا يوجد سجّلٌ واحد يؤكد وجودَهم من قبل، ثم أين ذهبت المفترسات بعد ذلك؟ يعني لجأ الناجون من البشر إلى العيش داخل المملكة التي بنَتْها لنا سموُّ الملكة (بيتا)، وقسّموها لـ ١٠ قطاعات، واندمج البشر معًا.. كل قطاع له أغلبيةُ سكان من دين أو عرق معين.. وخارج المملكة يعيشُ ملايينُ المفترسات كما يقال، وداخل المملكة يعيش حوالي ٢ مليار إنسان و ١٠مليون مفترس حسب الإحصاءات التقديرية الأخيرة.

قاطعتْها المعلمة: كلُّ هذا ندرسه ونعْرِفه مِن التاريخ.. ما هو تساؤلك؟

ردّت (رين): كلُّ هذا غير طبيعي.. من أين جاءت

المفترسات؟ وكيف وصلت للمملكة؟ ولماذا لا يلحقُ بقية المفترسات بمَن سبقهم إلى المملكة؟ ثم إنّ أي كائن بدءًا بالكائنات وحيدةِ الخلية وانتهاءً بالبشر لهم دورٌ ما في الطبيعة.. ووجود منطقي.. إلا المفترسات.. إنهم يبدون وكأنّهم مدْسُوسون بشكلٍ ما.. لا أعرف كيف أعَبِّر.

تطلّعتِ المعلمةُ نحوها لثوانٍ، ثم قالت: أنتِ حقًّا طالبة عبقرية.. كلّ أسئلتك منطقية بشكلٍ كبير.. أخبريني يا (رين)...

ارتفعَ صوتُ هاتف (رين) مقاطعًا المعلمة، فضغطت (رين) زرَّ الاتصال، وجاءها صورةُ أخيها الذي قال: (رين).. مطلوبٌ مني إنهاء بحثٍ الآن.. قد أتأخر إلى العاشرة أو أكثر.

نهضَ جارُها وقريبه، وغادرا، وهكذا أصبح المطعمُ خاليًا مِن الرّوّاد.

غمغمَتْ (رين) بصوتٍ خفيض مُحْرج: المفترض أنّ المطعم يغلق في التاسعة أخي.. إنّهم مهذّبون، لهذا ينتظرون حتى أغادر.. سأعود إلى المنزل وحدي إذًا.

ردّ في ضيق: ولكنّ الليل قد حلّ.. وتلك المفترسات.

هنا قالتِ المعلمة: إن كنتِ تسكنين في الحي السكني بعد

الحديقة؛ فأنا أمرُّ مِن هناك في طريقي إلى المنزل.. يمكنني أن أوَصّلك.

احْمرَّ وجهُ (رين) خجلًا، وقالت: لا أريدُ أنْ أتعبك يا دكتورة.

ردّت الدكتورة باسمة: لا تعبٌ على الإطلاق؛ فهذا طريقي.. ستؤنسين وحدتي في الطريق.

هزّت (رين) رأسَها، ثم قالت لأخيها: كما سمعت أخي.. عندما أصلُ إلى المنزل سأتَّصل بك.. إلى اللقاء.

وضعتِ المعلمةُ ثمنَ القهوة، ونهضت.. غادرا المطعمَ وقالت (رين) معتذرةً بطريقتها المهذّبة المعتادة: شكرًا لك يا دكتورة.

وقفتِ المعلمةُ تنظر إلى الشارع الذي خلا- تقريبًا- من المارَّة، وقالت: أنا أسيرُ مِن هنا إلى المنزل.. أفضِّلُ المشي على ركوب السيارة.. إنْ كان السير على الأقدام يتعبُك يمكننا إيقاف سيارة أجرة.

هزّت (رين) رأسَها نفيًا، وقالت: على الإطلاق.. فلنتمشّى.

سارت المعلمة و(رين) بجوارها لفترةٍ صامتَتَين، ثم قالت المعلمة:

دائمًا ما أراك مع أخيك.. فتًى صالحٌ، ومعلم مساعدٌ ممتاز وعبقريٌّ حاسب آلي.

ردّت (رين): أجل.. إنه أفضل أخ في الدنيا.

تساءلتِ المعلمة: ماذا عن والدَيْك؟

ردّت (رين): لقد تُوُفّيت أمي بعد مولدي.. و.. ووالدي كذلك.

قالت المعلمة: لاحظتُ أنّ أسماءَكم مختلفة.. أنتما أخوة من أبويْن مختلفَيْن؟

ردّت (رين): أجل.. والدتي كانت متزوجةً من والد (علي) ثم طُلِّقا، وبعد ثمانية أعوام التقَتْ أبي وتزوَّجا.

قالتِ المعلمة: فهمْت.

وقفتْ (رين) وتطلّعت بحذرٍ نحو الشارع الجانبي الذي اتجهت إليه المعلمة، فتوقفت المعلمة بدوْرها وسألت: ما بك؟ لماذا توقفتِ؟

غمغمَتْ (رين): هذا الشارعُ ضيقٌ ومظلم ومخيف.. لمَ لا نمرُّ مِن الشارع العمومي؟

قالت المعلمة: يا إلهي.. الشارع العمومي طويلٌ، وسنضيِّع ربع ساعة كاملة في السير، بينما أمامنا شارع مختصر.. لا تقلقي؛ أنا أسيرُ منه كلَّ يوم.. لا شيء فيه مخيف.

لحقتْ (رين) بالمعلمة. كان الشارع ضيقًا وطويلًا ومظلمًا، وثمة صندوق قمامةٍ ضخم على أحد الجوانب، بينما الجزء الخلفي من المباني السكنية هو ما يطلُّ على هذا الشارع.
قالت المعلمةُ وهي تتوقّف في منتصف الشارع فجأة: بالمناسبة يا (رين)، كنت أحسبك أكثر ذكاءً مِن هذا.

توقّفت (رين) وقالت: عفوًا.

ردّت المعلمة وهي تتطلّع إليها: كيف لم تنتبهي أبدًا لكل هؤلاء المفترسين مِن حولك؟

بدتِ الحيرةُ على وجه (رين).

عاودت المعلمةُ السيرَ حتى وصلا إلى نهاية الشارع، فاستدارتِ المعلمةُ قائلة:

لقد وصلنا.. إلى اللقاء إذًا.

قالت (رين): مهلًا.. ماذا عن المفترسين؟

ردّت المعلمة: سأخبركِ في الكلية غدًا.. هيّا إلى اللقاء.

توجّهت (رين) نحوها، ففتحت المعلمة ذراعَيْها واحتضنتها، وقالت: وداعًا يا (رين).

فتحتْ (رين) فمَهَا لتردّ، ولكنها توقّفت وقد اتَّسعت عيناها في ذعر.. هذا الشعورُ الحارق في كتفها.. ماذا يحدث؟

تراجعتْ مذعورةً، وتطلّعت إلى معلمتها التي امتلأ فمها

بالدم.. لقد عضَّتها بقوة هائلة مزَّقَت الثياب واخترقتها إلى لحم الكتف.. الدم يسيلُ بغزارة من الكتف، وقد بدأ يُغرق ثيابَها، حارٌّ سخينٌ، بينما ذراعُها ينبض بالألم.

لكمةٌ قوية وجَّهتْها إليها المعلمة، قذفَتْ بها مترَيْن إلى الخلف لترتَطِم بصندوق القمامة.. وقبل أن تعي (رين) ما يحدثُ برزَ مِن ظهر المعلمة ذيلان.. جذَبَتها المعلمة مِن تلابيبها وقالت- وعلى وجهها أقذرُ وأشَرُّ ابتسامة-: منذ وقعت عيناي عليكِ، وأنا أقاوم رائحتك الرائعة بصعوبة.. رائحتك غريبة، ولا مثيلَ لها.

وجَّهت لها لكمةً ثانية وثالثة؛ فسقطَتْ أرضًا، وأطلقت المعلمةُ ضحكةً وقالت: ما أروعك.. لم تصرخي ولم تتوسلي، ولم تحاولي حتى الهرب.

كانت لكماتُ المعلمة قويةً جدًّا، وشعرت (رين) بالدّوّار، ولم تعدْ تَرى حتى بصورةٍ جيدة.

إحدى إبر الذيول اخْترقَ بطن (رين) مباشرة، تبعتها أخرى، وسال الدم مِن فمِ (رين) ليُضاف إلى الدم السائل مِن أنفها وحاجبها وكتفها.

قالت المعلمةُ: لا تقلقي.. لن أقتلك؛ فأنا أحبُّ تناول الغدَد.. وأصحابُها أحياء.

كانت (رين) تلهثُ في ذعْرٍ وخوف وذهول وعدم تصديق وتعب.. حاولت أن تزحفَ مبتعدةً لكنها انهارت أرضًا.. وتوجَّهت نحوها المعلمة، وقالت: الآن سأمزّق جسدك بحثًا عن الغدد.. سأجعلُ الغدة الصنوبرية والنُّخامية في النهاية.. أريدُكِ حيَّةً يا عزيزتي.

ركعتِ المعلمة وتطلّعت نحو (رين) التي استلقت أرضًا تنظر إلى السماء المرصَّعة بالنجوم، والتي بدَتْ جميلةً جدًّا بينما بركةٌ مِن الدماء تُحيط بها.

وقالت: ولكن أخبريني.. لماذا رائحتُك لا تشبه البشر؟ هل يعني هذا أنني سأتذوق شيئًا مميزًا؟ رائحتُك ليست مفترسات كذلك.

أحدُ الذيول وهو الخاص بمادة الشلل يستعدُّ للهجوم حينما توقفت المعلمةُ بغتةً، واستدارتْ بحدَّة هاتفةً: مَن هناك؟

ثم نهضتْ تركضُ نحو أحد الأركان.

ظلَّت (رين) تتطلَّع إلى السماء.. إلى النجوم.. ثمّة صوت صراعٍ ما يدورُ.. تُرى ماذا يحدث؟ لا تدري لأنّ الرؤية أصبحت ضبابيةً بشدة .. خُيّل إليها أن أحدًا يتشاجرُ مع

المعلمة.. فجأة، شعرتْ بجسدها يُحمَل مِن على الأرض بقوة.

وأغلقت (رين) عينَيْها، وفقدتِ الوعي.

***

نهض (حسين) بصعوبة.. الساعة الحادية عشرة مساءً، وهو قد عادَ منذ ساعةٍ بعد يوم مرهِق في العمل.. وقالَ بغيظ: ليس عملًا مرة أخرى.

مدّ يدَهُ نحو الهاتف، وفتح الزر.. أتاه صورةٌ مجسدة ثلاثيةُ الأبعاد لسيدة ما آلية تمثِّلُ برنامج.. وتحتها اسم (مستشفى القطاع التاسع العام).

اختفى النعاسُ في ثوانٍ، وقالت السيدة: معك برنامج المستشفى.. سيدي، هل أنت خالُ الآنسة (نسرينة أحمد فهمي عبد الكريم)؟

ردَّ في قلق: أجل.. ماذا حدث؟

ردّت: تعرّضت الآنسة (نسرينة) لحادث، ووجدنا رقمَكَ للاتصال في حالة الطوارئ في حقيبة الآنسة.. كما نحيطُ علمَ سيادتكم بوجود أخيها معها كمرافق.

هتفَ وهو ينهض تمامًا من فراشه: ماذا حدث لـ (نسرينة)؟

ردَّت ببرود آلي: عندما تصلُ سيخبرك الطبيبُ المعالج بالتفاصيل.

ارتدى (حسين) ثيابَه بسرعة، وأرسل إلى أخيه ووالديْه رسالةً بالخبر، وتوجَّه بالسيارة إلى المستشفى. وصل إلى الاستقبال فتوجَّه مسرعًا إلى الممرضة الجالسة، وهتفَ وهو يلتقطُ أنفاسه بصعوبة: (نسرينة أحمد عبد الكريم).. تعرَّضت لحادثٍ ما.

ردَّت الممرضةُ وهي تتطلّع إلى الحاسب أمامها: أجل.. لقد تعرضت لهجومٍ مِن مفترس.

هتفَ (حسين) مستنكرًا: ماذا؟ مستحيل!!

ردّت الممرضة: هذا المكتوبُ أمامي. إنها في الطابق الخامس في حجرة العمليات الآن.

توجّه (حسين) إلى الطابق الخامس، ووَجَدَ (علي) جالسًا أمام غرفة العمليات، ووجْهُهُ شاحبٌ، وعيونُهُ محمرَّة مِن أثر البكاء.

توجّه إليه واحتضَنَه فلم يفعل (علي) سوى أن بكى، ثم راح يقولُ في مرارةٍ: حالتُها رهيبةٌ، لقد.. لقد.. ضربوها.. لقد...

قال (حسين): لا بأس. ستكون بخير بإذن الله، فلنصبر وندعو لها.

بعد ساعة، غادرت (رين) العملياتِ على محفّة، وشهقَ (حسين) و (علي) وهما يتأمّلان وجهَها الملئ بالكَدَمات والسَّحْجات.

وتطلّعا نحو الطبيب في لهفةٍ، فقال شارحًا: لقد كادتْ تفقد حياتَها حقًّا. كادت كذلك تفقدُ ذراعَها؛ المهاجمُ عضَّ ذراعَها فمزَّق قطعةً من اللحم ووصل إلى الشريان. تعرّضت كذلك للطعنِ في بطنها، وكانت مصابةً بنزيف داخلي، وارْتجاج في المخ، وشرخٍ في أحدِ الضلوع.

هتفَ (علي) بصوتٍ مذعور: هل ستكونُ بخير؟

ردّ الطبيبُ: سنضعها في العنايةِ المُشَددة ونراقبُها لعدة أيام حتى نطمئن. إذا تجاوزتْ الـ ٢٤ ساعة القادمة فستنجو.

وبدا محرَجًا، ثم تشجَّع وقال: الأشعةُ الأولى أوضحتْ وجودَ كسر في العمود الفقري، ولكنني بالفحص وجدتُه سليمًا.. لهذا قمتُ بأشعة أخرى، إنه سليم فلا تقلقوا.

قال (حسين): سنبقى معها.. هيّا.. إلى قسم المرافق.. (علي) تشجَّع قليلًا.

غمغمَ (علي) وهو يتوجّه مع خاله: أنا السبب.

طقطقَ (حسين) بلسانِه معترضًا فقال (علي): تركتُها تعودُ وحدَها بالأمس. في حياتي كلِّها لم أتركْها من قبل تعود

وحدَها ليلًا.. وثقتُ في تلك اللعينة.. المعلمة يا خالو.. المعلمةُ مِن المفترسات.

انتفضَ جسدُ (حسين) وهتف مستنكرًا: ماذا؟! إذًا، فما قالته الممرضةُ صحيح؟ هوجِمَت مِن مفترسة.

ردّ (علي) وهو يلتفتُ إلى خاله: أجل.

ثم أردفَ في عصبية: هناك شخصٌ ما أنقذَ حياتها، فقد حملها إلى المستشفى، ثم اختفى.

قال (حسين): الحمدُ لله، إنها نجَتْ بمعجزة.. سأذهب إلى الضابط لأعرفَ ما حصل معه في التحقيق. انتظرني قليلًا.

ردّ (علي) وهو يركبُ المصعد: أجل.

بعد نصف ساعة، صعدَ (حسين) إلى قسم المرافق، وهو ممَرٌّ لا يَحْوي سوى المقاعد وحجرات العناية الفائقة في نهايته.

فجلسا صامتَيْن، فلم يكنْ يُسْمَح لهم بالدخول لأكثر من ذلك.

في الثالثة صباحًا، تساقط المطرُ غزيرًا، وراح يضرب نوافذَ المستشفى المغلقة بإحكام، ونهض (حسين) ونزل إلى الكافيتريا فابْتاع كوبَيْن من القهوة، وناول (علي) أحدَهما

بصمتٍ، فتناولها بعد تردّدٍ، ورشفَ من القهوة صامتًا. كانت حالته صعبةً، ويبدو مرهقًا ومحطَّمَ الفؤاد. وشعر (حسين) بالذنب الشديد.. تلك الرقيقة التي تربَّت على أرقّ وأنظف المشاعر، ولم تتعرضْ يومًا للضرب أو الإهانة أو الإساءة، حتى عندما كانت طفلة وكانت ترتكبُ خطأً كبيرًا كانت أقصى عقوبةٍ هي كلمةَ عتاب. الآن، ترقد ممزقةً، وقد امتلأ جسدُها بالكدماتِ، وعلى حافة الموت.

بعد ساعة، قال (حسين): هناك أحدٌ ما ساعدها وقام بقتل تلك المفترسة. لقد عثرتِ الشرطةُ منذ قليل على موقع الحادث، ووجدوا جثةَ الدكتورة، ولولا أنّ ذيولها الثلاثة كانت بارزة لَحسبوها بشرية. المفترسة هي معلمةٌ ودكتورة في الجامعة، بل والذي يثير السخريةَ أنها كانت تدرِّسُ للطلبة علمَ المفترسات.. تلك الحقيرةُ كانت تسخرُ منّا طوالَ هذه السنوات، ولم يكتشفها أحد.

وتطلّع (حسين) نحو (علي)، وقال: إنها من الفئة العليا.. هل تعرف معنى هذا؟

ردّ (علي) في ضيق: درستُ شيئًا كهذا في الثانوية، ولكنني لا أذكر.

قال حسين: إنها قويةٌ جدًّا. لا يمكن لأحدٍ قتْلَها إلا ضابطٌ

عالي التدريب في قوات مكافحة المفترسات، أو مفترس مِن نفس فئتِها.

قال (علي) في حيرة: ما معنى هذا؟! إن كان ضابطًا فلمَ لمْ ينقل (رين) إلى المستشفى بنفسه، أو يظل في الموقع حتى وصول المُسْعِفين؟

وقال (حسين): وإن كان مِن المفترسات، فلماذا يقتل مَن هم مثله مِن أجل بشرية؟

تطلع كلاهما إلى بعضٍ في حيرة وصمتٍ، بينما الأمطار تضربُ النوافذ.

***

في السابعة صباحًا، وصل (حسن) إلى المستشفى مسرعًا، وتوجَّه نحوهم. كان (حسين) يُبْقي عينيه مفتوحتيْن في صعوبة، بينما ظل (علي) يتطلّع بشرود أمامه، وهتف (حسن) حينما وصل: هل ما يقولونَهُ صحيح؟ هل تعرضت (رين) لهجومٍ مِن مفترس؟

ردّ (حسين): أجل.

وقفَ (حسن) يلتقطُ أنفاسَه، ثم قال: وكيف حالُها؟

ردّ (حسين): في العناية المشددة، ننتظر ٢٤ ساعة لاستقرار حالتِها.

تطلّع (حسن) إلى (علي) وغمغمَ: هل أنت بخير يا (علي)؟

ردّ (علي): أجل.

جاء (جون) على مهل لاحقًا بشريكه، فلما وصل صافَحَهُ (حسين) باحترام، وقال (جون): كيف حالها؟

ردّ (حسن): في العناية المشددة.

قال (جون): هيّا بنا إذًا.

هتفَ (حسن): ماذا؟

وتطلّع (علي) إلى (جون) مستنكرًا، فقال (جون): وجودُنا لن يفيدَها بشيء، لن يشفيها أو يعالجها، ولن تشعر به أصلًا حتى تفيق.. فلنعُدْ إلى المركز حيث نقوم بتشريح المعلمة. يجب أن نعرف كلَّ شيء عنها، وعلينا كذلك تحديدُ هُوية المنقذ، وعلينا كذلك عملُ اختبارِ دمٍ كامل للضحية؛ للتأكد من أنها لم تلتقط عدوى ما.

ردّ (حسين): لقد فعلوا هذا فعلًا.. إنها بخير مِن هذه الناحية.

قال (حسن): ألا يمكننا رؤيتها؟

ردّ (علي): الطبيبُ قال عندما تستقرُّ حالتها.

قال (حسن): أبلغوني إذًا إن حدث أي شيء.

وغادر. وبعد ساعة، اتصلَ (يوسف) وظهرت صورتُه، وكان يبدو غاضبًا.. حكى له (حسين) ما حصل، فقال في ضيق: شفاها الله، طمئنوني عليها.. سأحاول زيارتَها مساءً.. إن كانت دخلت كليةَ مكافحة المفترسات لتمكَّنَت مِن الدفاع عن نفسها الآن.

احتقن وجه (علي) ولم يعلِّق.. في العاشرة صباحًا، سمح لهم الطبيبُ برؤيتها مِن خارج الحجرة عبْرَ الزجاج لمدة خمس دقائق فقط.. فتوجّه (علي) بلهفةٍ وتطلّع إلى جسدها المسجَّى على السرير، بينما الأنابيبُ الدقيقة تخرجُ من جسدها، وحولها أجهزة عديدة تتابع رسمَ القلب والمخ وعملَ الكُلى والرئة.

تماسَكَ (علي) حتى لا يبكي مِن منظرها المؤلم.

في المساء، غاب (علي) و (حسين) في نومٍ عميق على المقاعد الغير مريحة.

اقتربت الساعةُ من الثانية عشر مساءً، ونهض (حسين).. وجسده يؤلمه، وكان جائعًا فهو لم يأكل منذ يوم، ولم يبْدُ على (علي) الحماسَ لتناول أي طعام مِن مطعم المستشفى. قال (حسين): وهل سيفيدُها أن نتضوّر جوعًا؟!

ردّ (علي): لا أشعر بشهيَّة على الإطلاق.

نهضَ (حسين) وقال: سأشتري لك شطيرةً.. ولنفسي، وسأعود ولن أتأخر.

وأجْبره لمّا عاد على التهام الشطيرة. وجاء الطبيب وراح يفحصُها وينظر إلى تقارير الأجهزة الصادرة بانتظام، ثم قال باسمًا- وهو يعود إلى حجرة المرافقة-: لقد استقرَّت حالتُها.. سوف ننقلها إلى حجرة عادية. مواعيد الزيارة ستكون مِن الواحدة ظهرًا حتى الرابعة عصرًا.

هتفَ (علي) بصرامة: أنا لن أغادر إلّا معها.

قال الطبيب بلهجة مَن اعتاد هذه الرُّدود: أنت حر، ولكنني قلق على مريضتي حينما تفتحُ عيونَها فتجد أخاها يشبه المومياوات.. ألا ترى أنه من الأفضل أن تستريحَ في البيت قليلًا، ثم تأتي لزيارتها غدًا ظهرًا وأنتَ بحالة سليمة!؟

بدا بعضُ الاقتناع على (علي)، وتحدث معه (حسين).. وفي النهاية أقنعه بالعودة إلى منزله، فعاد كلاهما.. كلٌّ إلى منزله، وناما بعمق حتى اليوم التالي.

***

وضع (جون) كمامةً على فمه وقُفَّازيْن في يده، وهو يقف أمامَ جثة المعلمة في حجرة التشريح، ووقف (حسن) بجواره يُعِينه.

وقال (جون): معدتُها ممتلئة.. تلك المَسْعورة لم تكن جائعة.. هي فقط وجدتْ فرصةً لم تستطع تجاهلَها.

قام بنقل بقايا عصارة المعدة وما تَحْويه في كيس، وقال: سنعرفُ مِن خلال تحليل الحمض النووي مَنْ هُم آخر ضحاياها.. أسنانها قويةٌ وحادّة فعلًا.. إنها تشحذُهَا بأداة ما.. لا أثر لقطرةِ دمٍ أو نسيج لهذا المنقذ المجهول.. هممم.. انظر.. لقد أطاح بعنقها بأداة تُشْبه ذيلَ المفترسات.. سنقوم بمزيدٍ مِن الاختبارات. انتهيْنا هنا، سأعود إلى المكتب لكتابة التقرير، وأنت يا (حسن) تابعْ أخبارَ المنقذ المجهول ووافِنِي بالتقرير.

عادا إلى مكتبَيْهما، وجلس (جون) وراح يُملي التقرير، وراجعه مرتين، ثم جاء (حسن) وقال له: ذلك المنقذُ كان يعرفُ ما يفعل.. الكاميرا بالشارع العمومي لم تلتقط صورتَه، فيبدو أنه يعرف بوجودها ونجح في عدم الظهور، والكاميرا في المشفَى كذلك لم تلتقطه ولم يرَهُ أحدٌ من السكان.. فقط ممرض الطوارئ تكلّم معه لثوانٍ.. كان يرتدي غطاءَ رأس ولِثَامًا.

ردّ (جون):أي أنه قد يكون أي شخص، وقد يكون امرأة أو رجلًا.. همم.. وهذه المعلومات عن المعلمة.. تعيش لوحدها، لم تتزوج ولم يكن لديها أولاد، والداها تُوُفّيا منذ عشر سنوات وليس لها إخوة، الجيران يقولون إنها كانت امرأة مهذبة وخلوقة، وقليلة الاختلاط بالآخرين.

جلس (حسن) أمامَه، ثم قال: إنها تعرف (نسرينة) مِن الكلية؛ فهي أستاذتُها وتدرِّس في الكلية منذ أربعة عشر عامًا.. تدرّس نفسَ التخصص.

ردّ (جون): أجل.. لقد نجحت في خداع الجميع، ويبدو أنها كانت تطاردُ أختَكَ منذ بداية اليوم؛ فهي لم تذهب إلى هذا المطعم مِن قبْل.

وتطلّع نحو (حسن) ثمَّ قال: يبقى السؤال.. من أنقذ ابنة أختك؟ ولماذا؟ وهو ما يعني أننا سنتحرَّى عن كلِّ سكان المنطقة التي وقع فيها الحادث.. وزبائن المطعم في هذا اليوم كذلك، والعاملين.

***

في الساعة الثانية عشرة، فتحت (رين) عيونَها.. اكتشفت أنها لا تقدرُ على فتح عينها اليمنَى بسبب الكدمةِ الزرقاء الرهيبة التي أغلقتها بالكامل.. مِن حُسن حظّها أنها لا تستطيع رؤيةَ وجهها المتورِّم وإلّا فزعَتْ. تطلعت إلى سقف الحجرة وتذكَّرت شكلَ السماء والنجوم في تلك الليلة.. سالت مِن عينها دمعةٌ، وظلَّت راقدة في صمت.

«المفترسات الشريرة تتحدَّث مثل البشر، وترتدي مثلهم، وتتصرف أمام العامة بصورة طبيعية.. هناك احتمال أن يكون بعضُ الحاضرين مِن المفترسات.. ونحن لا ندري».

***

«هتفت المعلمة: ممتاز.. درجتان لتلك الإجابة، ممتاز كالعادة يانسرينة».

***

«هههههههه..: ما أروعك.. لم تصرخي، ولم تتوسلي، ولم تحاولي حتى الهرب».

***

«الآن.. سأمزق جسدَك بحثًا عن الغدد.. سأجعل الغدة الصنوبرية والنَّخامية في النهاية.. أريدك حيَّة يا عزيزتي».

***

سالتْ دموعُها هذه المَرّة، فمسحتْهَا بكفِّ يدِها، وتأوَّهت لأنّ ذراعَها آلَمَهَا لتلك الحركة فهو الذراعُ المصاب.. فرفعتْ كفَّ يدِها الثاني، وأكملتْ مسحَ دموعِها ثم أغلقتْ عيونَها محاولة النوم.

دخلتْ ممرضةٌ إلى الحجرة، فحقَنَتْ بعضَ المسكن في كيسِ المحاليل المتَّصل بكفِّ يد (نسرينة)، وقالت لها: حمدًا لله على سلامتك.. هناك زيارة لك، وهم ينتظرون حتى موعد الزيارة.

لم تردَّ (نسرينة) فغادرتِ الممرضةُ الحجرة. بعد نصف ساعة، دخل (حسين) ومعه (علي) و (حسن) وجدُّها..

انطلق (علي) نحوها، وراحَ يقبِّل وجنتَها في حنانٍ جارف هاتفًا: (رين).. أنا سعيدٌ جدًّا لأنك بخيرٍ يا حبيبتي.

تأوَّهت لأنّ وجهَهَا كان يؤلمها برغم أنه قبَّلَها برفق، فتراجع هاتفًا: متأسف.. لم أقصد إيلامَك.

وقال (حسين) باسمًا: حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي.

وهتفَ (حسن): حمدًا لله على سلامتك.

وقال جدُّها بصرامة: أصبحتِ بخير.. ممتاز.

تطلَّعت نحوَهم صامتةً بعينٍ واحدة، ثم حرّكت شفتَيْها الجافَّتيْن، وتمْتمَت: شكرًا.

قال جدُّها: العميد (جون) يريدُ أن يسألَكِ بعضَ الأسئلة.

ردّ (علي) بإصرار: ليس الآن.. ألا ترى حالتها؟!

لم تردّ، فقال جدُّها: هل يمكنك الإجابة عن أسئلته؟

غمغمتْ بضعفٍ: أجل.

هتفَ (علي): أخْبِرْه ألّا يُكثر من الأسئلة؟

دخل (جون) بملامحه الغريبة، وقال وهو ينظر إلى (رين): لن أسألك سوى سؤاليْن فقط، وبعدها سأتركك ترتاحِين، وتتحدَّثين مع أسرتك.

لم تردّ، وتطلَّعت إليه صامتة، فقال: السؤال الأول: هل قالتْ لك تلك المفترسةُ أي شيء جذبَ انْتباهَك، أو كان غريبًا قبل أو أثناء مهاجمتها لك؟

تذكّرت (رين) كلامَ المعلمة عن المفترسات وعن رائحتها، وردَّتْ بضعف: قالت إنها ظلَّت تحاول مقاومةَ رائحتي.

تطلّع (جون) نحوها بصمتٍ، ثم قال بشكّ: فقط؟

ردّت (رين): فقط.

عاد (جون) يقول: السؤال الثاني.. هل رأيتِ مَن هاجَمَها؟

ردّت (رين): كنت أفقدُ الوعي.. ولكن آخرُ ما سمعتُه صوتُ ضربٍ، وكأنها تتشاجر مع أحد، ثم حَملني وفقدتُ الوعي.. لا أذكر.

قال (جون): أشكرُك لتعاونك، أتمنَّى لك السلامة.

ثم استأذن لينصرف، وغادر معه جدُّها ليوصله ويتحدث معه.

قال (علي): يقول الطبيب إنك ستغادِرين بعد أسبوع.

تطلَّعت إلى السقف صامتة، فقال (حسن): رغبَتْ زوجتي في القدوم بشدّة، ولكن لديها اليوم متابعةٌ مع الطبيب، ولكنها ستأتي غدًا بإذن الله.

وقال (علي): سامحيني أختي، فقد تركتُك ليلتَها وحيدة.

ردّت (رين): لست غاضبةً من أحد.. إنها ليست غلطةَ أحد.. لا تلُمْ نفسَك يا أخي.

بدأت (رين) تغلقُ عيونَها، فقال (حسين) هامسًا: أعطتْها الممرضةُ مسكنًا قويًّا.

قال (علي) وهو يجلس على مقعدٍ في الحجرة: سأظلُّ معها حتى ينتهي موعدُ الزيارة.

في اليوم التالي، جاء (حسن) ومعه زوجتُه ووالدتُه كذلك، وجاء (حسين) و (علي)، وقال الطبيبُ وهو يفحَّصها: سأشكوك إلى أسرتك.. إنها لم تأكل شيئًا بالأمس ولا اليوم.

قال (علي): أختي، عليك أن تأكلي حتى تستعيدِينَ عافيتَك.

ردّت (رين): ليست لديَّ شهية.

ولكنها في اليوم التالي لم تأكل شيئًا أيضًا، فوضع لها الطبيب محاليلَ تغذية، وجاء لزيارتها (علي) هذه المرة وحدَه؛ فأعانها على الجلوس على السرير، وتناول صينيةَ الطعام من الممرضة، ثم حاول إطعامَها بعضَ الحساء. شعرت (رين) برغبةٍ عارمة في القيء؛ فتقيَّأت في صندوق القمامة الصغيرِ بجوار سريرها.

تطلّع (علي) نحوها في قلق، وقال: ألا تشعرينَ بالجوع برغم أنك لم تأكلي منذ ثلاثة أيام!؟

ردّت: لا.. فقط اسندني لأدخل إلى الحمام.

حينما انتهى موعدُ الزيارة، واضّطر (علي) للمغادرة، توجّه إلى مكتب الطبيب كي يسأله عمّا يحدث معها، فقال الطبيب: الاحتمال الأرجح أنها مسألة نفسية. مِن الخير لكم عرضُها على طبيب نفسي، فقد نجَتْ مِن الموت وتعرَّضت للضرب والطعن. عليكم أن تكونوا بجانبها بعد خروجها من هنا.

بعد يومين، غادرت (رين) المستشفى.. كانت عينُها اليمنى مازالت مغلقةً، وعينها اليسرى بها تجمعٌ دموي. أيضًا ثمّة جرح عند شفتيها، وكدمةٌ، وكانت كذلك تتحرّك بشكل أفضل ولكنها احْتاجت أن يسندَها أخوها من باب المستشفى إلى أن أوصلها للسيارة التي اشتراها. وكان (حسين) يقودُها، وانطلقوا إلى المنزل. وفي الطريق، توقفوا أمام الصيدلية لشراء الأدوية.

مرّت السيارةُ بالقرب من الشارع الجانبي إياه، فأجفلتْ (رين) ثم أراحت رأسها على قدمي أخيها الجالس بجوارها، وقال (حسين): سأبقى معكم ليومين.. لا أريد اعتراضًا؛

فأنت يا (علي) لا يمكنُك أخذ أجازة أكثر مِن هذا، وأنا مَن سيُعْنى بها صباحًا.

دخلت (رين) إلى حجرتها، وأغلقت على نفسها لأول مرة في حياتها، وراحتْ في نوم عميق. قال (حسين): لقد وجدتُ طبيبًا ممتازًا في الأمراض النفسية.

قال (علي) وهو يتوجَّه إلى المطبخ: سأعدُّ الأطعمة التي تحبّها (رين)؛ سيعينُها هذا على الأكل حتمًا.

بعد أربع ساعات، استيقظتْ (رين) وغادرت الحجرة، وكان أخوها قد أعدَّ مائدةً مليئة بأصناف الطعام والحلوى، وقال (حسين) حين رآها: لقد عاونْتُه في إعداد بعضِ الأطعمة؛ لهذا ستجدين بعضَها غيرَ شهي.

ابتسم (علي) وقال مازحًا: آه.. عدنا إلى الطعام الذي كان يعدُّه خالي لنا ونحنُ أطفال.

هتف خالُه باسمًا: لقد كبرتُم بصحة جيدة.. أليس كذلك؟

جلست (رين) على المائدة، وقرّب إليها أخوها طبق البطاطس المقلية، وقال: هيّا تناولي أصبعًا أو اثنين.

تناولت واحدة ولاكَتْها، ثم عاودتها الرغبةُ العارمة في التقيؤ، نهضتْ إلى الحمّام فتقيأت. كلُّ الطعام لا يُطاق..

طعمُ البطاطس كأنه متعفّنٌ، وطعم اللبنِ كأنه متخَثِّر، وطعم الشوربة وكأنها حامض.. غسلت وجهَهَا وجفَّفَته في المنشفة، وتطلّعت على وجهها في المرآة.. هنا رأت عينَهَا المفتوحة، كانت حمراء بلون الدم.. لم تعدْ عنبريّة.

أطلقت صرخةَ رعب، فنهضَ (علي) و (حسين) مسرعِين نحوها.. كانت مستلقيةً على الأرض تبكي، ركع أخوها بجانبها واحتضنها. راحت تبكي في حضنْه بشدة.. تماسك كي لا تسقط دموعُه بدوره، فترقرقَتْ في عينيه، وقال وهو يربتُ على رأسها: لا بأس، نحن موجودون.. أنتِ بخير.

في المساء، دخلت إلى حجرتها، فقال (حسين) وهو يناولُها الأدوية وكأسَ ماء: هيّا تناولي أدويتَك.. لا تُغلقي على نفسك الباب، وإلا لن ينام (علي) طوال الليل.

أومأت برأسها، وتطلَّعت إلى وجهها في المرآة الجانبية.. عينُها اليسرى بخير، وبلونْها الطبيعي.

تناولتِ الأدوية، وشربَتِ الماء، وقال (حسين): تُصبحين على خير.

قبّلته فجأة في وجنَتِه، وقالت: تصبح على خير يا خالو.

تطلّع إليها بتأثر، ثم أحكم تغطيتَها بالبطانية، ونهض وجاء (علي) قائلًا: إذا احتجتِ لشيء نادِني، تُصبحين على خير.

ردّت: تصبح على خير.

غادرا إلى الصالة، وجلسا على الأريكة.. اتَّصل (حسن) ليطمئِنّ عليها.

فتح (علي) التلفاز، وراح يطالع الأخبار في مللٍ، وقال (حسين): الشرطة فحصَتْ موقع الحادث جيدًا.. لا يوجد أي أثرٍ مِن أي نوع سوى للمعلمة (نادين) ولـ (نسرينة).

غمغَمَ (علي): هل تظن أنّ الذي أنقذها هو.. أعني.. ربما يكون والدها.

ردّ (حسين) بلا تردد: مستحيل.

قال (علي): وكيف تكونُ متأكدًا إلى هذا الحد؟ لقد اختفى منذ ولدت.

ردّ (حسين) وهو يتطلّع إليه: لا أستطيعُ أخبارَك.. ولكنْ ثِق بي.. إنه لم يكن هو.

– يا إلهي، هل توفِّيَ والدُها؟

– لا أعرف، ولكنه ليس في المملكة.. هذا ما أعرفه.

– حقًّا؟

– أجل.

دقَّت الساعة الحادية عشرة مساءً، تقلَّبت (رين) في فراشها وفتحتْ عينَيْها.. إنها جائعة جدًّا بشكل لم تشعرْ به في

حياتها، وثمَّة رائحة شهية تنبعِثُ من غرفة أخيها.. نهضت وغادرتْ حجرتَها، وفتحت بابَ حجرة أخيها بهدوء.. كان أخوها نائمًا على الأريكة الوثيرة بحجرته بينما نام خالها على السرير. ابتسمتْ.. لا بأس.. هي لن تؤذيَه كثيرًا.. فقط ستتناول غدَّة واحدة وتترك لهم البقية.. أجل.

حانت منها نظرةٌ نحو المرآة في حجرة أخيها.. كانت عينُها المفتوحة حمراءَ بلون الدم، ولعابُها يسيل كحيوانٍ جائع.

اتَّسعت عينها في ذعرٍ، وخفق قلبُها، كلا.. هذا لا يحدث لها.. مستحيل.

تراجعتْ في فزعٍ حقيقي، لقد جُنّت.. كانت على وشك إيذاءِ أحبِّ الناس إلى قلبها، هذا مستحيل. وضعت يدَها على فمها بقوة كي تكتُمَ صوتها.

إذًا، هل تحوّلت إلى مفترسة؟ ولكن هذا مستحيل.

أسرعت نحو حجرتها، وفتحت خزانة الثياب، وأخرجت معطفًا أسود، ارتدته فوقَ منامَتِها وارتدتْ حذاءها ذي الرقبة على عجَل، ثم حملت حقيبتها وغادرت– مسرعةً– المنزل.. عليها أن تغادر.. فقط بعد أن غادرت سمحتْ لدموعها أن تسيل.

***

الفصل الخامس
(بعض الإجابات)

قال (بسام) وهو ينظر مِن وراء ستارِ نافذته: لقد غادرت المنزل.

كان (ساري) يقومُ بغسل الصحون في حوضِ المطبخ المفتوح على الصالة فتطلّع نحوه وقال: من؟ (نسرينة)؟

– أجل. ضحية المفترسات كما يقول الإعلام.

ثم أسدلَ الستار من جديد، واستدار نحو (ساري) قائلًا: هل شممت رائحتَها؟

– من أول يوم. ولكن الرائحة تغيّرت الآن بشكلٍ ملحوظ.

– صحيح.

– إذًا.. لن نخبرها، قد يدفعُها أن تعرف الحقيقة إلى العمل معنا.

– راقبْتها لعدة سنوات، لن تفعل.. صدّقني.

– ولكننا بحاجة إليها.

– سوف أرى ما يمكنُ فعلُه.

أمّا (رين) فقد أسرعت الخطى مبتعدةً عن منزلها، وفكّرت– لا شكّ– أنّ منظرها ملفِتٌ مع أثر الكدمات في

وجهها. عينُها المفتوحة عادت إلى لونها العنبري، دموعُها أغرقت وجهَهَا وعنقَها. الجو باردٌ جدًّا، ويبدو أنها ستمطر بعد قليل. تحركت مسرعةً ومرَّت بجوار ذلك الشارع اللعين.. اتجهت نحو محطة قطار الأنفاق، واشْترت تذكرة إلى وسط المدينة. الوقت متأخرٌ ولكنّ وسطَ المدينة يكون مزدحمًا حتى الثالثة صباحًا.

وصلت بعد ربع ساعة، وهناك غادرت، وكما توقَّعت.. الشوارع مزدحمةٌ، والمارّة يرمقون منظرَها في فضول.. قواتُ مكافحة المفترسات في كلِّ مكان تراقب.. تمنَّت ألا تخذُلَها عينُها وتقرّر أن تغيّر لونها الآن.

جميعُ المحال مفتوحةٌ ومكتظّة.. ناطحاتُ السحاب والأبراج تزيّن شوارع وسط المدينة.. عليها أنْ تعثرَ على مكانٍ تجلس فيه، وتقوم ببعض الأبحاث.

دلفتْ إلى أحد المطاعم، وأخرجت الحاسوبَ من حقيبتها، وولجت إلى موقع المكتبة العامة وراحَتْ كالمجنونةِ تتفحَّص الكتبَ بحثًا عن تفسير لحالتها. ظلت لساعة ونصف تبحثُ دون جدوى. المفترسات لا ينقلون عدوى تحوّل البشر إليهم بأي شكل.. صفاتهم وراثية.. ينقلونها عبْرَ الجينات لأبنائهم. قالت لنفسها: لسْنا في فيلم خياليٍّ عن مصاصي الدماء أو المذئوبين.

نهضتْ ودفعت ثمنَ كوب الشاي الذي لم تتناولْ منه شيئًا، وغادرت.

إذا استيقظ (علي) واكتشف عدمَ وجودها سيجنُّ حتمًا.

ثمّة عرضٍ مسرحي انتهى، وغادر الناس العرضَ وهم يتناقشون.. مرّت وسط زحامهم. والآن، انتابَتْها رغبةٌ عارمة في التقيؤ، توجَّهت نحو أحدِ صناديق القمامة في جانبٍ مظلم وتقيّأت.. عادت تبكي.. لن تعودَ إلى المنزل ثانية.. لا يمكنُها أن تعودَ وهي بهذه الحالة العجيبة.. كيف، ومتى أصبحت مِن المفترسات؟ إنها بشر مُنذ وُلِدت حتى الآن، فما الذي حدث؟! وهل حقًّا قد تُقْدِم على إيذاء البشر؟!! مستحيل. هتفت لنفسها: أفضِّل الموتَ على إيذاء أي إنسان.

أمطرت السماء كما توقَّعت فلم تبالِ.. انزلقت قدمُها وسقطت أرضًا.. توجَّه نحوَها أحدُ الضباط، ومدَّ يدَه يعينها على النهوض، وقال: هل أنتِ بخير يا آنسة؟

غمغمَتْ: أجل. ثم أسرعتِ الخطى منصرفةً بعيدًا عن نظراته المتشكِّكة.

يبدو أن الساعةَ قد أصبحت الواحدة والنصف، وبدأت الشوارع تخلو مِن المارّة، وأغلق قطار الأنفاق. تعبت (رين) مِن المشي، فتوجَّهت إلى شارع جانبي. كلُّ ملابسها قد أغرقها الماء حرفيًّا.. وشعرُها ابتَلَّ تمامًا، وقد احْمرّت عينها وأنفها من البكاء الذي اختلطَ بالماء على وجهها.

لم يكن هناك أحد في هذا الشارع الضيق سوى قطة تعبث في صندوق القمامة.. انْهارت (رين) أرضًا. الأرض المبتلة

وثيابُها المبتلة والبردُ الرهيب.. شعرت أنّها ستموت من البرد.. ربما يكون هذا أفضل، قالت لنفسها: أجل.. الموتُ أفضلُ من تمزيق البشر وإيذائهم.. لن أصبح وحشًا أبدًا.. أفضِّلُ الموت.

هربت القطةُ بعيدًا، وظلَّت وحدها.

وضعت رأسَها على ركبتيها.. ثمّ بكتْ من جديد. الميْزة أنْ لا أحدٌ يسمَعُها؛ فيمكنها أن ترفعَ صوتَها بالبكاء. لقد قرّرت أنّها بعد قليل ستنهضُ وتلقي بنفسها في النهر.. إنها تجيدُ السباحة، ولكنها ستترُك نفسها للغرق، ولكن.. مهلًا.. هي لا تريد أن تموتَ كافرة.

ارتفعَ صوتُ بكائها أكثر.. حتى الموت لا تستطيعُ الحصولَ عليه.

قالت لنفسها: ليكن.. أفضَلُ الحلول هو الذهاب إلى مركز مكافحة المفترسات، يمكنها أن تلتقي بهذا الضابط الذي لم يصدّقها.. المدعو (جون) أو جدّها، وتحكي لهما كلَّ شيء، إمّا أن يجدُوا حلًّا لها وإمّا أنْ يقتلوها.

ولكن.. مهلًا.. ماذا عن (علي)!! سيجنُّ حتمًا، ولكن أي خيارٍ آخر تملك.

ازدادتْ وأمعنت في البكاء.. الأمطار تزدادُ غزارة.

هنا شعرت بيدٍ تُوضَع برفق على كتفها. رفعت عينَها فوجدت ذلك الشابَّ الوسيم قريبَ جارِها.. اسمه (ساري) قال لها: مرحبًا.

***

استيقظ (علي) شاعرًا بالقلق عليها، قرر أن يطمئنّ بإلقاء نظرةٍ على فراشها، فتوجَّه نحو حجرتها، وفتح الباب بهدوء، ودلف إلى الحجرة، فوجد السريرَ خاويًا.

بحث في أرجاء البيت فلم يجد لها أثرًا، أين ذهبت في هذه الساعة مِن الليل؟ ما لم تكنْ قد جُنّت!! أمّا الكارثة كانت في أنها قد تركت هاتفَهَا، لا يستطيعُ الاتصالَ بها أو تحديد موقعِهَا إذًا.

في البداية، فكّر في إيقاظِ خاله، ولكنَّه قرَّر البحثَ عنها أولًا في الشارع والمنطقة السكنيّة. ارتدى سترةً فوق منامَتِه، وتطلَّع من نافذة الصالة للتأكّد من سقوط الأمطار أو توقفها، فوجدَ شقيقتَه تهبطُ مِن سيارة جارِهِ الصَمُوت، وتتوجَّه إلى المنزل عائدة. فكّر في مواجهتِها والصراخِ، ثمّ تراجع..

سيعودُ للنوم وينتظر حتى تخبِرَه ما حصل معها، خاصةً وأن مشهدَ ثيابِها المبتلّة أثار رعبَه.. ثمّة شيء ما خطأ في أخته، ولكن ما هو؟!!

***

حينما لمس (ساري) كتفَهَا برفقٍ تطلَّعت (رين) إليه.. ابتسامتُه مشفقة ولطيفة، أخرج زجاجةَ محلولِ عيونٍ مع قطّارة من جيبه، وقال: افتحي فمَكِ وتناولي قطرةً، وستكونين بخير. ثقي في كلامي.. أعرف أنّ لديكِ الكثيرَ من الأسئلة، ولكن عليك الآن العودةُ إلى المنزل، فإذا

استيقظَ أخوكَ للاطمئنان عليك ولم يجدك في هذا الوقت مِن الليل سيجنّ حتمًا.

انكمشت (رين) على نفسها، وقالت- في ذعر- وهي تتأمل القطرة: ما هذه؟!

ردّ: دواء.. ستعودين إلى طبيعتك إذا تناولتِ منه، وستكونين بخيرٍ بالقرب من أخيك وأسرتك.

تطلّعت نحوه في شكٍّ، فقال: إذا جئتِ غدًا أو في أي وقت تحدِّدينه إلى المطعم سنشرحُ لك كلَّ شيء.. ولكن إذا لم تتناولي الدواءَ فقدْ تسوءُ حالتك.

فتحتْ فمَها، وتناولت قطرةً، ثم أعادت الدواءَ إليه.. كان طعم الدواء أقربَ إلى القرفة، وله رائحةٌ غريبة.

مدَّ يدَه، وأعانها على النهوض، ثم غادر بجوارها الشارع، وتوجّه نحو سيارة (بسام) التي استعارها منه.

وقالت (رين): هل أصبحتُ مفترسة؟

ردّ الشاب: طبيعتُكِ لم تتغير.

كان ردُّه غريبًا حقًّا.. قادَ السيارة إلى منزلها فعادَتْ تقول: إذًا.. كنتُ على وشك التحوّل إلى مفترسة.

ردّ وهو يكتمُ ابتسامته: ليس الأمر مرضًا ينتقل بالعدوى.. طالما أنك وُلِدتِ بشرية، فستظلّين كذلك، وإذا وُلِدتِ مفترسةً فستظلّين كذلك.

بدأتْ تشعرُ بالدّوار، وبأن رأسَها ثقيل، ورماها الشابُّ بنظرةٍ جانبية، ثم قال: ستُصابين بنزلةِ بردٍ بالتأكيد، ولكنك ستُعاودينَ الأكل.

هتفَتْ منفعلة: لمَ لا تشرحْ لي الآن ما يحدث؟

قال: (بسام) هو مَن سيشرحُ لك كلَّ شيء لا أنا.. فقط عندما تأتينَ إلى المطعم.

قالتْ في غيظ: هل أنتَ مستمتعٌ بلعبِ دوْر الرجل الغامض.

هزّ رأسَه وقال: معلوماتي عن حالتك ليست كافيةً للشرح.

عادتْ تقول: هل مَن في المطعم مفترسات؟

ردّ باقتضاب: كلا.

هتفتْ: وأنت؟

عادَ يقول: أجل.

صرختْ بغتةً: أوقف السيارة.

قال ببرود: لقد قاربْنَا على الوصول.

هتفتْ وهي تمدُّ يدَها نحو أزرارِ التحكم: أوغاد.. هل تظن أنني سأدَعُك تصل إلى أهلي.

مدّ يدَه، وأعادها إلى المقعد.. كانت يدُه قويةً جدًّا، وقال بحدّة: سنتعرض لحادثٍ في هذا المطر.. أنا لست بارعًا في القيادة بعد، وليس لدي نيةُ إيذائك بأي شكل.. فاهدئي.

هتفتْ وهي تقاومُ يدَه على كتفها: هل تآمرتم مع (نادين) للإيقاع بي؟

ردّ بغضب: لا علاقة لنا بها على الإطلاق.

ثم أوقف السيارةَ وقال: لقد وصلنا إلى المنزل.. هيّا غادري.

أسرعت (رين) بالمغادرة، وسارت حتى وصلت إلى منزلها، فتطلَّعت نحو سيارة الشاب فوجدَتْه يتوجّه نحو منزله المقابل، تسلَّلت إلى المنزل بهدوء.

من البديهي أنها أصيبت بنزلةِ بردٍ قوية، ورقدت طريحةَ الفراش لثلاثة أيام، وارتفعت درجة حرارتها، وراحت تسعلُ وتعطس. لم تخبرْ أحدًا- طبعًا- بما حصل معها، ولكنها لم تعدْ تشعر بالجوع نحو أفراد أسرتها، وعاد الطعام إلى مذاقه اللذيذ، فأقبلتْ على تناول الحساء والبطاطس والعصائر بشهيَّة. أسعدَ هذا أخاها كثيرًا.. لاحظت كذلك أن حاسةَ الشم لديها قد تغيّرت تمامًا.. أصبحت تتعرّف على رائحة خالها (حسين) وأخيها.. لأخيها رائحةٌ محبَّبة لطيفة، ولخالها رائحة قوية وعذبة في الواقع.

أخيرًا، تحسّنت كثيرًا، وفتحت عينَها الثانية، واختفت- تقريبًا- آثار الكدَمات.. ولم يعدْ ذراعُها يؤلمها بعد أن الْتَئَم الجرح تمامًا، وعاد خالُها إلى منزله.

نهضت في الصباح، وقرّرت التوجّه إلى الجامعة لأداء الامتحانات.

ركبتْ مع أخيها سيارتَه الجديدة في الصباح، وتوجَّهت إلى الكلية. وهناك تلقَّت عشراتِ الترحيبات والعناقَ من زميلاتها والكلماتِ المواسيةَ من أساتذتها. أدَّت الامتحان على ما يرام، وبعده قرّرت التوجّه إلى المطعم. لقد قامتْ بتأجيل هذه الخطوة كثيرًا جدًّا، والآن حان الوقت.

عادت إلى المنزل، فأعدَّت طعام الغداء، وانتظرتْ عودةَ أخيها فتناولاه معًا، ثم راح أخوها يعمل على رسالة الماجستير، وبدأت هي تدرُسُ للامتحان القادم غدًا. في المساء، تناولا عشاءً خفيفًا وفتحَا التلفاز، وكانت صورتُها فيه.. هتف (علي): لقد أصبحتِ مشهورة.

أنصتا إلى التلفاز الذي ظهرت فيه الملكة.. لها شعرٌ بنّي طويل متموِّج، وعينان توحِيان بالدهاء الشديد والخبث والقسوة.

كانتْ تقول وهي تشمخُ بكبرياء: لثلاثمائة عام حَمَيْت البشر من هؤلاء المفترسات.. حاربناهم بكل قوتنا إلّا أنهم يزدادون وقاحةً يومًا بعدَ يوم.. آخرُ أعمالهم الوحشية التي جذبت انتباه الرأي العام مهاجمةُ فتاة صغيرة هي حفيدة رئيسِ المركز الأعلى لمكافحة المفترسات في المقاطعة ٩.. أي أن الرسالة التي يحاولون إيصالَها لنا هي أنهم سيهاجمون عائلةَ جنودنا ودرعَنا الحامي.. وأنا أيضًا سأبعثُ لهم برسالة، وهي عملية النسور الجريئة.

وابتسمَتِ الملكةُ وعادت تقول: سيتمّ تنفيذُ العملية خلال شهر، سنرسلُ لهم الرسالة كاملة، سنقضي عليهم تمامًا، وسنبدأ في المقاطعات كلِّها، وسأكون متواجدةً في المقاطعة ٩ شخصيًّا. أجل سأترك العاصمةَ المقاطعة ١ وسآتي إلى المقاطعة ٩.

أغلق (علي) التلفاز، وقالت (رين): إنها تبدو لي بشرية تمامًا.

قال (علي): إنها كائن فضائي يحمينا منذ مئاتِ الأعوام، ومتوسط عمرها يختلف عنّا.. من المخيف أن يحكمَنا نفسُ الشخص كلَّ تلك الأعوام، ولكن الميزة أننا لا نعاني أي نوع من الصراع على السلطات، ثم أن لدينا البرلمان المنتخب.. وهو يملك أغلبَ السلطة التشريعية.

قالت (رين): مِن حسن الحظ أنها لا تملكُ مطامع ولا غيره.

تثاءب (علي) بقوة، ثم قال: سأنهض لأنام؛ لدي عمل باكر.. وأنتِ؟

قالت: سأسهرُ للمذاكرة في حجرتي، ولكن عليّ الذهاب أولًا إلى المكتبة العامة ضروريًّا.

انتفض (علي) وهتف مستنكرًا: ماذا!! الآن؟

قالت بسرعة: سآخذ سيارة أجرة في الذهاب والعودة، وسألتقي برفيقاتي هناك.

– الساعة الآن الثامنة.. لن تذهبي إلى أي مكانٍ وحدك.

– أخي، لن أتأخر.

تطلع (علي) نحوها لثوانٍ، حتى كادت تنهار وتعترف بأنها ذاهبة إلى المطعم، وأنها تكذب عليه لأول مرة في حياتها.. ولكنه نهض وقال: متى ستعودين؟

ردّت: بعد ساعة أو اثنتين على الأكثر.

قال وهو يتوجّه إلى حجرته: سآتي معك.

هتفتْ بسرعة: كلا.

شعرتْ بالندم على تسرّعها، وأدركت أن أخاها سيعلم أن ثمَّة شيء ما خطأ.. ولكنه لم ينظرْ نحوَها، وقال: حسنًا، سأدخل لأنام ولا تتأخري في العودة.

تنفَّستِ الصعداء، ثم أسرعت ترتدي ثيابَها، وأخذت سيارة أجرة إلى المطعم.

نقدت السائق أجره، ودلفت إلى المطعم حيث جلس (بسام) مع (ساري) على نفس المائدة الجانبية المنعزلة نوعًا. كان المطعم قد بدأ يخلو تقريبًا.. توجَّهت نحو مائدتهم، وجلست.

جاء النادلُ مسرعًا وهو يتمنى ألا تطلب الكثيرَ من الأطعمة؛ فهُمْ على وشْكِ الإغلاق، فطلبت عصيرَ أناناس فقط، ثم مضت لحظة صمت، وقال (ساري): آه.. مرحبًا.

قالت (رين):هل أنتَ أيضًا مثله يا (بسام)؟

ردّ بهدوئه المستفزّ: أنا مثلك.

تطلّعت إليه بغيظ، ثم قالت بصوتٍ منخفض: لقد وعدني (ساري) بالإجابات، والآن ما الذي يحدث معي بالضبط؟ كيف كدت أن أتحول إلى مفترسة؟

قال (بسام): ولن تخبري أحدًا أبدًا عن حقيقتنا؟

قالت (رين) بتحدٍّ: على كلّ حالٍ، إذا لم أحصل على إجابات لأسئلتي؛ فسأبلّغ عنكم جميعًا.

قال (بسام) بغضب: ممتاز.. أبلغي عنّا، وانضمّي إلينا في الزنزانة، فأنتِ مفترسة أيضًا.

قال (ساري): آنسة (نسرينة).. من فضلك، احكي كلَّ شيء حدَثَ معك لـ (بسام)؛ فهو الذي يملك الإجابات كلها.

قالت (رين): أنتما تعلمان جيدًا ما حدثَ معي.

تساءل (بسام): ماذا عن لوْن عينيك؟

– عيني اليسرى تتحوّل للَون أحمر كالدم.

– فهمت.. سأشرحُ لك.. أنتِ مُهَجَّنة.

كان لـ (بسام) مظهرٌ رزينٌ، مثقفٌ رغمَ ضخامته، ولكنها تذكَّرت معلمتَها على الفور. إنّ المفترسات ليسوا وحوشًا تسيرُ وذيولُها خلفها ومعهم سكاكين، بل هم مثلُ البشر، ويصعُبُ التعرّف على هويَّتهم الحقيقية.

قالت: أنا لا أستطيع تصديقَك أو الوثوق فيما تقول.

ردَّ في نفاذِ صبرٍ هذه المرة: حقًّا؟.. أنتِ معنا في المطعم، وإن رغبنا في إيذائِك لفعَلْنا.

قالت (رين): ومَن أدراك أنني لم أُخبر أحدًا بوِجْهتي.

ردّ باسمًا في سخرية: وستقولينَ ماذا؟ عفوًا يا أخي فأنا ذاهبة إلى المطعم حيث المفترسات؛ لأنّني أظنُّ أنني واحدة منهم.

جاء النادلُ بكوب العصير، فوضعه ثم انصرف، وهمس (ساري): لا تكنْ عدوانيًّا.

غمغمَ (بسام): سأحاول.. احكي لي كلَّ شيء.

تطلّعت نحوه، ثم تنفَّست.. وبدأت تحكي كلَّ ما حصل معها منذ أُصيبت وغادرتِ المستشفى، ثم لَّما انتهتْ قال موجّهًا حديثَه إلى (ساري): هل قالت (نادين) أي شيء، أو سمعتَ منها شيئًا؟

هتفتْ (رين) في حيرة: مهلًا.. أنتم تعرفونها؟!

قال (بسام): نحن نعرفُ بعضَنا طبعًا، ولكننا مختلفون عنها في كلِّ شيء.

عادت (رين) تقول: إذًا، هل مَن هاجَمها هو.. المنقذ السري هو..

وتطلّعت نحو (ساري) فقال: أجل.. أنا مَن قتلها.. وقبل أن تهاجمينني على تأخري في إنقاذك فالسبب أن (نادين) مِن الفئة ثلاثية الذيول، وهي تشمُّ الروائح جيدًا، وكان عليَّ الحفاظُ على مسافةٍ معينة حتى لا تُدرك أنني أتبعكم؛ لهذا وصلتُ متأخرًا.

وتطلّع (ساري) نحوها وقال في أسف: أنا آسف جدًّا لوصولي المتأخر.

غمغمَتْ (رين): لماذا تعتذر؟ أنت قد خاطرتَ بنفسك أصلًا بمحاولتك إنقاذي.

قال (ساري): كانت تردّد أن رائحتَكِ تثيرُ جنونَها.

احْمرَّ وجه (رين) خجلًا، فقال (بسام): إنّ رائحتَك غريبة فعلًا.. أول مرّة رأيتُك فيها حينما انتقلت إلى الحي منذ سنوات قليلة.. استغربتُ؛ فرائحتُك ليست بشرية، ولكنها ليست مفترسة، وليست كأي رائحة.. أنتِ بالفعل لغز.

تطلّعت (رين) نحوه وقالت: ما معنى هذا؟ هلَّا شرحتَ لي.

قال (بسام): بالطبع اسمعيني جيدًا.. لديك عينٌ واحدة حمراء، والأخرى لونها ثابت.. تحاليلُ دمك بشرية تمامًا، بينما رائحتُك ليست كذلك.. أنتِ مثلي مهجنة.. إحدى الوالدين بشري والآخر مفترس.

ضحكتْ (رين) فجأة، ثم قالت: هل تمزح معي يا سيدي؟ متى وكيف أصبحت هجينة؟ هل زرعتْ نادين شيئًا ما بداخلي؟!

ردّ (بسام) بجدّية: أنتِ هجينة منذ وُلِدتِ.. نحن طبعًا نعرفُ أقارب والدتِك جميعهم، وهو ما يعني أن والدتك بشرية، إذًا.. فقد كان والدُك من المفترسات.

غمغمتْ معترضة: مستحيل.. كيف لم يتعرَّفْه جدي؟!! وماذا عن تحاليل الدم قبل الزواج؟ ثم أصلًا لا توجد مثل تلك الحالات، ولا يوجد حالات مواليد.

ونهضتْ، وقالت في عصبية: هذا التفسير غيرُ صحيح.

قال (بسام): ماذا تعرفين عن والدك أو أهله أو أقربائه؟

فتحتْ فمَها لتصرخ بشيء، ثم توقفتْ وتمتمَتْ في مرارة: لا شيء.. كان يتيمًا واختفى بعد وفاة أمي، والأرجح أنه لم يعد حيًّا.

ثم استأذنتْ في دخول الحمام.

قال (ساري) بعد ابْتعادها: لِمَ لا تخبرها عن والدها؟

ردّ (بسام): ليس الآن.. لنتأكد فقط فليس أمامنا سوى فرصة واحدة، وإذا فشلنا ضاعَ كلُّ شيء.

عادتْ (رين) بعد أن غسلتْ وجْهَها، وأزاحتْ كوبَ العصير؛ فلم تعدْ لها شهية.

خلا المطعم تمامًا، وهذا يعرضهم لخطر أن يسمعَهم العاملون؛ فنهضوا ودفع (بسام) الحساب في إصرار، ثم غادروا في سيارته.

وضع الأخير سيارتَه تحت القيادة الآلية بسرعة بطيئة؛ حتى يتحدَّث معها.

عاد (بسام) يقول: اسمحي لي بتصحيح معلوماتك إذًا.. نحن.. أي المفترسات متواجدون منذ أعوام طويلة.. خلال ثلاثمائة عام. تظنين أنه لم تقعْ أي قصص حبٍّ بين المفترسات والبشر، ولا حالة زواج واحدة حقًّا؟

قالت (رين) : هل تحبّون البشر؟ هل لديكم مشاعرُ ورومانسية؟

هتف (بسام) في غيظ: هل تصدقينَ كلَّ ما تسمعينَهُ في الإعلام والكتب؟ هل- حقًّا- تصدّقين بأننا حيواناتٌ مفترسة؟ نحن لدينا مشاعر وأحاسيس، ونحبُّ ونكرُه ونخاف.

قالت (رين): ليس هذا ما أراه وأسمعُه يوميًّا.

ردّ (ساري) هذه المرة في هدوء: هل البشرُ ملائكة.. ونحن الشياطين؟ أليس في البشر سفاحون وقتلة وكذابون ومتحرشون؟!! نحن كذلك فينا الصالحُ والطّالح.

وتنفَّس بعمق، ثم أكمل: في حياتي كلها لم أؤذِ إنسانًا بأي شكل، ومع هذا.. عانى شعبُنا من الاضطهاد والقتل المُمَنْهج حتى كدْنَا ننقرِض.

وقال (بسام): نحن نعيش في رعبٍ كلَّ يوم؛ لأنّ الموت ينتظرُنا على يدي الجنود بلا رحمة ولا تمييز.

غمغمتْ (رين): لم أقصد.. أنا حقًّا آسفة.

قال (بسام): أنا لا ألومك على أفكارك؛ فكلُّ معلوماتك مُسْتقاة من الكتب والإعلام دون احتكاك حقيقي بالمفترسات.. وأول لقاء معهم كان تجربةً مؤسفة، إن قدومك إلينا ومحاولةَ الثقة بنا لهِيَ شجاعةٌ حقيقية.

مضتْ فترةُ صمت، ثم بدأت الأمطارُ بالتساقط في الخارج بصورة خفيفة.

وقالت (رين): خالي فقَدَ زوجتَه وهي حامل على يدِ مفترس.. لستُمْ ضحايا لوحدكم.

ردّ (بسام): أجل.. أتفق معكِ في هذا.. بعضنا متوحشٌ، ويعتبِرُ البشرَ مصدرًا للغذاء والتسلية والصيد. والآن، اسمعيني جيدًا.. خلال الأعوام السابقة وقعتْ ألف حالة زواج بين المفترسات البشرية والبشر العاديّين.. واسمحي لي بهذا اللقب؛ لأننا- صدّقيني- لا نختلف عنكم كثيرًا سوى في احتياجنا إلى التهام الغدد. على كلٍّ.. كما قلت هناك ألفُ حالة مسجّلة لزواج مختلط، حدثَتْ في هذه الحالات مائة حالةٍ مسجلة للإنجاب.

علقت (رين): نسبةٌ ضعيفة جدًّا.

قال (بسام) وهو يهزُّ رأسه: هذا صحيح.. هناك اختلافٌ بيولوجي طفيفٌ جدًّا بين البشر وبين البشر المفترسين، ولهذا تقلّ نسبة تقبّل جسد الأم للجنين بشكلٍ كبير جدًّا.. ولكن النسبةَ ليست صفرًا. والآن، أنتِ تدرُسين في كلية علميّة، وتفهمين فكرةَ الجينات السائدة والمتنَحّية.. الأمر مشابهٌ بشكلٍ ما، ولكن ليس تمامًا.. المائة حالة وُلِدت منهم ٥٠ حالةً بشرية تمامًا برغم اختلاف أحد الوالدين. وهناك ١٠ حالات كانت لمفترسات تمامًا.. وهناك ٣٣ حالة مسجلة لمواليد وُلِدوا مشوّهين وماتوا. وفي جميع الأحوال تقريبًا يولد للأسرة طفلٌ واحدٌ فقط.

بدأ الأمر يثيرُ فضولَ (رين) فقالت في اهتمام: والسبعة حالات المستثناة؟

قال (بسام): حالاتٌ هجينة.. نصف بشر ونصف مفترسات، وأقوى مِن.. وأعلى في التصنيف مِن الوالد المفترس. أنا واحدٌ من تلك الحالات.. وُلِدت لأمّ مفترسة من الفئة المتوسطة وأبٍ بشري.. وأنا مِن الفئة القوية.

تطلّعت (رين) نحو (ساري) الذي ابْتسم وقال: أنا مفترس تمامًا.

عاد (بسام) يقول: هؤلاء لهم رائحة معينة، وهي لا تنطبقُ عليك بالمناسبة، لذا أظنُّ أنّ حالتك مختلفة قليلًا.. بالنسبة لاحتياجك إلى الغدد، فلغزٌ محيّر.. فليس لدي فكرةٌ كيف عشت السنوات السابقة بدونها.

هتفتْ (رين): والدواء؟

ردّ (بسام): إنه مستخلَصٌ مِن الغدد البشرية، ونحن نحتاج إلى نقطةٍ واحدة أسبوعيًّا تكفينا تمامًا؛ فنحنُ لا نهاجم البشرَ أبدًا.. نقوم باسْتخراجها من غددِ الموتى، ونوفّرها لَمَن يرغب أن يعيشَ دون أنْ يتوحّش على البشر. إنني طبيبُ تشريح، وأثناء عملي أستخرجُ بعضَها لأجلنا.

قالَت (رين): تريد إقناعِي أنني لست بشرية بالكامل منذُ وُلِدت، ومع ذلك لم ينْتبِه لا جدّي ولا أخوالي ولا أخي.. بل ولا حتى أنا شخصيًّا إلى هذا.

ردّ وهو يمطُّ شفتيه: هذا غير منطقي.. لهذا قلتُ إن حالتك لغزٌ محيّر، فأنتِ تأكلين الطعام العادي دون الحاجة إلى غددِ البشر، ولكنْ فجأة أصبحتِ في حاجة ماسّة إليها.. لا يوجد تفسيرٌ لكونك عشتِ بشريةً تمامًا، ثم تحولتِ بغتةً بعد ذلك الهجوم.

– وما الذي يميز المهجَّنين؟ إنّ وصفك لهم يجعلهم كالمفترسات.

– كما قلت إنهم أعلى في الفئة مِن الفرد الأبوي المفترس.. هذه نقطة، والثانية هي أنهم لا يحتاجون لالتهام الغدد أو للدواء سوى مرة ما بين ٦ أشهر وعام، بينما يحتاجُها المفترس العادي مرةً كلَّ أسبوع.. إضافة أنّ تحليل الدم نتيجتُه مثل البشر تمامًا.. أي أنه من المستحيل معرفةُ هويتهم الحقيقية بالتحليل.

وصلا إلى منزلها، فهبطت من السيارة، وقال (بسام): قولي لأخيك أنك الْتقيت بنا صدفةً وعرضنا إيصالك.. إلى اللقاء الآن.

- أجل، إلى اللقاء.

***

اليوم، كان آخر امتحان لديها، فتناولت إفطارها مع أخيها، ونهضت لتستعد. الطقسُ بارد في الخارج، والأمطار تتساقط وتتوقف منذ الأمس.

قال (علي) وهو يقذفُ لها مفتاح السيارة: خذي السيارةَ اليوم.

تساءلت: ألن تذهب معي إلى عملك؟

ردّ: لقد حصلتُ على أجازة اليوم؛ كي أستكمل بحث الماجستير.. قودي بحذر.

- شكرًا أخي.

قبَّلته مودعةً، وغادرت.

قام بغسل الصحون، ثم توجَّه نحو حجرتها. تركت حاسوبها لأنها لن تحتاجَه اليوم لأن الامتحان كله عملي.. ففتَحَه وأدخلَ كلمة السر، بحثَ في بريدها الإلكتروني فوجدَها قد ضمَّت بريدَ جارهم (بسام). شعر بالغيظ وفكّر.. هل يُعقل أن أختَه تحبّ الجار أو قريبَه وتلتقيَهُ سرًّا.

مستحيل.. قبل الحادث كان يصحَبُها في كلِّ مكان فمَتى وكيف كانت تلتقيه؟!!

راحَ يبحث في تاريخ المتصفّح.. ما الذي تبحثُ عنه أو تفعله على الشبكة؟

لا شيء هام.. كلها أشياء تتعلقُ بامتحاناتها ودراستها.. راح يبحثُ عن تاريخ اليوم الذي تسلّلت فيه إلى خارج المنزل.. لا شيء.. لقد قامت بإزالة تاريخ التصفح، وهو ما لم تكنْ تفعلُه من قبل قط.

أغلقَ الحاسوب ونهض.. لقد أخبره خالُه (حسين) أنّ منقذَها كان من المفترسات.. وأنه قطعَ عنق المعلمة بذيله... تُرى هل هو والدها، أمْ قريبُ جارهم؟

أخرج الدجاجةَ من المجمِّد وكيسَ الخضروات. بدأ يحاول شغلَ تفكيره بإعداد طعام الغداء برغم أن الوقت مازال باكرًا.. الدجاجة مجمَّدَة ومع هذا راح يقطعُها في غلٍّ ليفرغ انفعاله، وغسَلَها بالماء، ووضع عليها الملحَ والكمُّون.. وتركها.

عادَ إلى حجرتها، وراح يفتّش فيها، فلم يجد شيئًا ذا بال.

غادر المنزلَ، وتوجَّه إلى محطة قطار الأنفاق، وتوجَّه إلى منزل جدِّه.. استغرقتِ الرحلة ساعةً حتى وصل، فطرَقَ جرسَ باب الفيلا، وفتحتْ له الخادمةُ فدلَفَ.

كان يعلمُ أنّ جدَّه في العمل، وأنَّ جدتَه وحدها في المنزل. تهلَّلت أساريرُها حينما رأتْه ونهضت تحتضِنُه.. قبَّل رأسَها وجلس معهَا يتحدّثان قليلًا، وأجابَ عن عشرات الأسئلة حول الماجستير وصحة شقيقته، ثمّ أحضرت الخادمةُ فنجانيْن من القهوة بالحليب، وانْصرفت.

تنحنَحَ (علي) ثم قال: جدتي، أريدُ الحديث معك في أمر هام جدًّا، وأريدُك أن تجيبيني رجاءً بكلِّ ما تعرفينه.. لا أريدُ نفسَ الإجابات المبتورة والمُبْهمة التي أتلقَّاها دومًا مِن أخوالي أو جدّي.. الأمرُ هام، ويمكنُ القول إنّها مسألةٌ تتعلق بشقيقتي.

بدا على جدَّته القلقُ، ووضعت الفنجانَ من يدها، وتطلَّعت نحوه فقال: أنا أظنُّ أنّ مَن أنقذ شقيقتي هو والدها.

حدقتْ فيه ولم ترد.. وإنْ بدت متفاجئة، فقال: التقرير الخاص بالحادث يؤكد أنّ مَن أنقذها ليس شخصًا عاديًّا.. وأنه مفترس.

– وما علاقة هذا بوالدها؟ ابني.. ماذا تحاول أن تفعل؟

– ما هي معلوماتك عن والدها..عن زوج أمي؟

– هي نفسُ معلوماتك.

– ثمة شيء ما.. خالي أخطأ أثناء حديثِه معي، وأخبرني أنه من المستحيل أن ينقذَها والدُها، وكان واثقًا ممّا يقول..

فهل والدُها في.. في السجن السرّي؟ أم أنه حقًّا هربَ خارجَ المملكة.

ردّت ببرود: لا أعرف.

أمسك كفَّ يدِها برفقٍ وتوسّل، وقال: جدَّتي.. إذا لم أحصلْ على المعلومات الآنَ؛ فسأخبرُ أختي بكل شيء.

– أنت لن تفعل هذا أبدًا.

– جرِّبيني.

ثم نهضَ وفي عينيه نظرةٌ أخافَتْها، فجذبته من ذراعه كي يجلس، وقالت:هل جننت؟! لماذا تفعلُ هذا بشقيقتك؟

ردَّ وهو يعودُ للجلوس: لأن مِن حقها معرفةَ كل شيء عن والدها.

– وما الذي ستسْتَفَاده إذا علمَتْ سوى الصدمة؟ حسنًا اجلس واهدأ.. ابني، كلُّ معلوماتي أن والدَها– غفرَ الله له– قد قُتل أثناء محاولته الهربَ من المملكة.. أمرتِ الملكةُ بحرق جثمانه.. لا تتطلَّع إليّ فلم يكن أحدٌ منّا يملك حقَ الاعتراض.. قالت إن الأمرَ ضروريٌّ من أجل قتل جميع الخلايا.. أو شيئًا كهذا.. إنِ اعترضنا كانت ستوجَّه لأسرتنا تهمةُ الخيانة والتعاون مع المفترسات، وكنا سنُعْدم جميعًا.

ثم عادت ترشفُ من الفنجان، وأردفَتْ: إياكَ أنْ تخبر شقيقتك.. أنا آسفة لأننا لم نخبِرْك بوفاته، ولكننا أردنا

إبعادك أنت وأختك عن تلك المشاكل.. ولكن لماذا تصر الآن على معرفة مصير والدها؟

- كنت أحسبُه حيًّا.. شكرًا يا جدتي، ستعود (رين) خلال ساعة، وعليَّ أنْ أعودَ إلى المنزل.

- لم تتناول قهوتَكَ بعد.

- في المرة القادمة. أستأذنُ منك.

- أنت لن تخبرَها.

- حتمًا لن أفعل.. لا تخبري جدِّي من فضلك، إلى اللقاء.

***

حينما عاد (علي) إلى المنزل توقَّع أنْ يجدَ شقيقتَه قد عادت إلى المنزل، ولكنها لم تصل بعد. ظلّ مترددًا لحظات، ثم اسْتجمع شجاعتَه، وعبَرَ الطريق متوجهًا نحو منزل (بسام).

طرقَ الباب، ومضت لحظةٌ ثم فتح (ساري) البابَ، فقال (علي): مرحبًا.. أنا جاركم (علي)، أرغبُ بالتحدّث معكما في أمرٍ هام.

ردّ (ساري): إنّ (بسام) في الداخل.. تفضّل.

دلفَ (علي) إلى منزل جاره لأوّلِ مرة. كان المنزل مؤثثًا بأثاث بسيط يوحي بالذوق والتواضع، وكان للبيت نفسُ تصميمِ بيوت الحي.

كان (بسام) جالسًا في استرخاء بالصالة، فنهض بتراخٍ مغمغمًا: مرحبًا.

وصافح (علي) بقوة، ثم تساءل: هل تشربُ معنا القهوة؟

ردّ (علي): شكرًا.. لا أريدُ أن أشرب شيئًا.. أريد أنْ أتحدّث مباشرة بالموضوع.

غمغمَ (بسام) في شيء من السخرية: بالطبع.

جلس (ساري) صامتًا، فقال (علي) موجّهًا الحديث إليهما: هل قام أحدكما بإنقاذ شقيقتي.. ليلة تعرضها للحادث؟

ردّ (بسام): كلا.

بشيء مِن التحدي قال (علي) وهو يضيّق عينيْه: ماذا تفعلان مع أختي في الأونة الأخيرة إذًا؟

– ماذا تعني؟

– كفّ عن الكذب.

قالها بعصبية واضحة، فبدا القلقُ على (ساري)، وظلَّ (بسام) هادئًا وهو يجيب: إن كنت تعني اليوم الذي أوصلتها فيه إلى المنزل فقد التقينَاها صدفةً في المطعم، وعرضتْ أن أوصلها بدلًا من أن تسير وحدها في الشوارع ليلًا.

ردّ (علي): حقًّا؟! والليلة التي غادرت فيها المنزل عشيةَ عودتها من المشفى.. لماذا كان قريبُك هذا يوصّلها بسيارته بعد منتصف الليل؟ أهي صدفة أخرى؟!

مضتْ ثوانٍ مِن الصمت، ثم قال (بسام): لا أدري عمّ تتحدث؟ ربما تكون قد توهَّمْت أن (ساري) كان يوصّلها، فلقد كان معي طوالَ الوقت.

نهضَ (علي) وقال بصرامة، وهو يستديرُ منصرفًا: لقد منحتُكم فرصة لإجابتي.. على كلٍّ فإن قوات مكافحة المفترسات ستعرِفُ كيف تنزعُ منكم الأجوبة.

في جزءٍ من الثانية كان ذيلُ (بسام) يحقِنُ (علي) في ظهره، فشعرَ بشكَّةٍ خفيفة، وما هي إلا ثوانٍ حتى سقط (علي) أرضًا.

***

نهاية الجزء الأول